الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

العدد ٤٨ - ٤ يونيو سنة ١٩٣٤ - السنة الثانية

2 me Année, No. 48.

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الأعلانات يتفق عليها مع الأدارة

الرسالة

مجلة اسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

Lundi-4-6-1934

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم | ٤٢٣٩٠
| ٤٠٥٣٠

العـــدد ٤٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٢ صفر سنة ١٣٥٣ — ٤ يونيو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

لذة الشراء وآفة الملكية

للأستاذ احمد امين

بالأمس ضحك مني بائع الكتب القديمة ، إذ رآنى أقلب فى الكتب ، وأذهب ذات اليمين وذات الشمال ، وأقف على الكرسى وأنزل من عليه ، والكتب بعضها بال عتيق قد غلف بالتراب وأكلته الأرضة ، وكلها وضعت حيثما اتفق ، لم يعن فيها بترتيب حسب الموضوع ولا حسب الحجم ولا حسب أى شيء ، ولم يبذل أى جهد فى تنظيفها وعرضها ، فكتب فى الأرض ، وكتب فى السماء ، وكتب فى الرف ، وكتب على المقاعد ، وكتب فى المشى ، البائع رجل تقدمت به السن ، زهد البيع وزهد الشراء ، وإنما يبيع ويشترى لأنه اعتاد أن يبيع ويشترى ، كل ما فى أمره أنه فضل أن يجلس فى الدكان على أن يجلس فى البيت إذ يرى الرائحين والغادين ، ويستقبل الزائرين ، ومن حين الى حين يبيع كتاباً أو كتابين .

وسط هذه المكتبة المغمورة بالكتب ، والمغمورة بالتراب ،

فهرس العـــدد

والمغمورة بالفوضى ، انغمست بيذلتى البيضاء ، القريبة العهد بالكواء ، أبحث عن كتب نادرة أشتريها ، وأتصفح كتباً أتعرف قيمتها ، فضحك إذ رأى غراماً بالكتب يشبه الجنون ، ورغبة فى البحث والشراء تشبه الخبل .

لا تضحك — ياسيدى — فانما هى لذة الشراء أصيب الناس بها جميعاً ، وان اختلفوا فى مقدار الأصابة ، فقد تهور فيها قوم ، واعتدل فيها آخرون ، وهى ظاهرة فى منتهى القوة والغرابة ، تتجلى بأجلى مظاهرها فى الهواة، فهذا هاوى سجاجيد يجن جنونه إذ يرى سجادة قديمة ، صنعت فى أصفهان فى القرن الخامس عشر أو السادس عشر ، يحتقرها الرائى العادى ، ولا يرضى أن يأخذها ولا بالمجان ، ويشمئز أن يراها فى بيته ، فاذا الهاوى يجرى ريقه ويتحلب فمه ، كأنه جائع سغب أمام أكلة لذيذة ، وقد لا يجد ثمنها فيستدينه ، وقد ينقصه الضرورى من وسائل العيش ومرافق الحياة فيعمى عنه ، ولا يرى أمامه إلا السجادة وشراءها ، ولتكن النتيجة بعدُ ماتكون ، وسيتكفل الزمن بسداد الدين ، وليحمل الزمن وحده عبء ما يحتاج اليه من ضرورات العيش ، بل سواء حلها أم لم يحلها ، فليس فى الوجود ما يعدل هذه السجادة ، فلأشترينها ثم لتنطبق السماء بعد على الأرض .

وكذلك الشأن فى هاوى طوابع البريد ، وهاوى الكتب ، وكل الهواة ، نمت عندهم على مر الزمان لذة الشراء لما يهوون ، وغذاها كثرة الشراء وأحاديث الهواة الذين يحيطون به واظهارهم الأعجاب الشديد بما اقتنى ، فاذا نظروا الى سجادة عجبوا من لونها الباهت ، وخيطانها التى هلهلها الزمن ، وصورها غير المنسجمة ، ونحو ذلك مما يدل على امعانها فى القدم ، وكلما كان خيطها أبلى ، ونسيجها أبسط، وتصورها أتفه ، كانت أشد استخراجاً للعجب، وكانوا أكثر لها تقويما ، وأشد لها إعظاما ، وكانت لذة الشراء عند الهواة أشد طغياناً ، وهم أمامها أشد ضعفاً .

هذه اللذة — لذة الشراء — يستغلها أرباب « المزاد » فهم يثيرونها الى أقصى حدودها ، ويبلغون بها مبلغاً جنونياً ، فتحتدم اللذات ، ويخضع الشارون لتأثير الاستهواء ، ويتغالون فى أثمان ما يعرض حتى قد تفوق أثمان الشىء الجديد ، ولكن الشىء الجديد يشترى والعقل الواعى فى سلطانه ، وأما أشياء « المزاد » فتشترى والعقل الواعى قد أسدل عليه ستار من الاستغواء والاستهواء ، ومن أغرب ما فى هذا النوع أنك ترى الكثيرين يندمون اذا اشتروا ، ويندمون اذا لم يشتروا .

ولذة الشراء هى السبب فى أنك تشترى لزوجتك وبناتك الثوب الجميل ، أو الحذاء الظريف ، فتعرضه عليهن فلا يعجبهن ، ثم يخرجن ويشترين ما هو أقل منه جمالاً وظرفاً ثم يعدن راضيات ، قد يكون السبب أن ما اشتريته ليس على ذوقهن ، وأن هناك فرقاً كبيراً بين ذوق الرجال وذوق النساء ، وأنك إذ تشترى لهن تحكم ذوقك فى ذوقهن ، ولكن يظهر لى أن ذلك فى كثير من الأحيان ليس السبب الصحيح ، وإنما السبب الصحيح أنك إذ تشترى لهن تحرمهن لذة الشراء ، وهى فى نفسها قد تفوق الشىء المشترى نفسه ، ويفسر هذا أن السيدة قد تخرج وليس فى نفسها شىء معين تشتريه ، ولا تحس حاجة الى شىء يشترى ، وانما هى — فى أعماق نفسها — تريد أن تغذى لذة الشراء عندها ، فما هى إلا أن تمر فى دكان سمعان أو شملا أو شيكوريل حتى تشترى ، وتشترى كثيراً ، وتشترى ما لم يخطر لها على بال ، ثم ترجع راضية لأنها أشبعت لذة الشراء عندها .

ولو أن الناس — وخاصة السيدات — اقتصروا على شراء ما هم فى حاجة إليه لأغلقت دكاكين كثيرة ، ولقل العرض وقل الطلب — ولكن لذة الشراء عندهم دفعتهم أن يشتروا ما لم يحتاجوا ، وأوهمتهم فى كثير من الأحيان بالحاجة الى ما ليس لهم به حاجة — وإلا فما حاجتى الى شراء كل هذه الكتب والمكتبات العامة مفتحة الأبواب ؟ وما الحاجة الى شراء نسختين من كتاب واحد والتعلل فى ذلك بأتفه الأسباب ؟ وما الحاجة الى ملء البيت بهذا الأثاث وأقل منه يكفى ويزيده حسناً ؟ وما الحاجة الى شراء المرأة هذه الثياب المختلفة الألوان والأنواع، وقد لا تحتاج

إليها مرة فى الحياة ؟ — لا شىء إلا لذة الشراء .

ويحدث فى هذا الباب غرائب . فما وقوفك على الدكاكين واستعراضك ما فيها الا نوع مما تدعو إليه هذه اللذة ، فان اشتريت فيها ، وإلا فهو نوع من ظل اللذة كالسكير يتلذذ قليلاً من رؤية الشاربين ولو لم يشرب معهم ، والمحب يسر بعض الشىء من رؤية المحبين يتواصلون ولو هجره هو حبيبه .

***

قد كان من المعقول والطبيعى أن الناس — وهم يتلذذون هذه اللذة الشديدة القوية بالشراء — يتلذذون كذلك لذة شديدة قوية بالملكية ثم يستمرون على التنعم بها ، والتمتع الدائم بملكها ، ولكن جرى الأمر فى هذا العالم على غير ما يتوقع ، فهم راغبون أشد الرغبة فى ملك الأشياء ، والملكية تذهب بلذتها . فالناس مولعون أشد الولع بالملكية حتى لو استطاعوا أن يملكوا القمر فى السماء لملكوه ، ولو ملكوه لحرموا جماله ، وهم مولعون أن يملكوا كل شىء الى درجة الجنون ، حتى لو استطاعوا أن يسلبوا السماء زرقتها، والمزارع بهجتها، والبحار جمالها ليجعلوها فى حوزتهم لفعلوا — وقد ادرك مهرة الباعة هذا الجنون فى الانسان فتفننوا فى عرض ما يبيعون بحسن الوضع وتزويق المعروض وايهام الترخيص وكثرة الاعلان فى شكل جذاب يوقع فى الوهم أن الشراء فرصة لن تعود ، وأن ملكية الشىء تملأ الحياة سعادة وغبطة — ولو أنك دخلت بيوت الأغنياء والطبقة الوسطى لرأيت كثيراً مما فيها لا حاجة للبيت إليه ، بل قد حمل أكثر مما يطيق حتى ذهبت بساطته ، وزاد تعقده ، واحتاج الى زيادة الخدم والاتباع للعناية بنظافته وترتيبه ، وجعل الحياة أكثر تعقداً وأشد ارتباكاً ، وما دعا الى هذا كله إلا لذة الشراء وجنون الملكية ، وما قصر الفقراء فى هذا إلا أنهم لا يجدون ثمن ما يطلبون ، ولو أتيح لهم ذلك لأفرطوا فى الشراء افراط الأغنياء ، ولولا جنون الملكية لكانت الحياة أبسط ، ووسائل العيش أيسر ، والتنعم بها أتم .

وكأن الطبيعة العادلة أرادت أن تعاقب على هذا النوع من الجنون ، فسلبت المالك أكثر ما يتصور من لذة ، فالشىء جميل لذيذ ممتع ، فيه كل ما يتمنى المرء من سعادة ما لم يملك ، فاذا ملك لم يجد فيه المالك كل ما يتصور ويتخيل ، وأصبح أقل قيمة مما يأمل ، ولا تزال قيمته فى نقصان حتى يصبح عادياً تافهاً كأنه والحرمان سواء .

فالقصر الجميل هو أجمل ما يكون فى عين من يمر به ويقل جماله شيئاً فشيئاً فى عين من له به علاقة ما ، حتى اذا بلغت المالك وجدت القصر لا قيمة له فى نظره ، ووجدت شعوره به كشعور الفلاح نحو كوخه ، والفقير نحو عشه ، وكلما طال الزمن بالغني تفه القصر فى نظره ، وحرم حرماناً تاماً من لذة الملكية ، وصارت لذته خيالاً لمن يمر به ويتصور نعيم سكانه أو ملاكه .

وهذه قاعدة الحياة ، فأجمل أيام الزوجية قبيل الزواج أيام يتخيل المرء أو المرأة ما ينتظر من نعيم مقيم ، وأيام يسبح خياله أو خيالها فى الآمال والأمانى التى لا حد لها ، ثم تصدمه أو تصدمها الملكية أو شبه الملكية ، فاذا كل شىء عادى مألوف .

وأجن بالكتاب قبيل شرائه وعند شرائه ، وأبيت ليلة وأنا أحلم به ولا أسمح لنفسى بالنوم ليلة الشراء قبل تصفحه ومعرفة ما فيه أو على الأقل عناوينه ، ثم يوضع فى المكتبة وينسى وكأنه لم يملك .

والأملاك الواسعة والغنى الوافر أمل الناس جميعاً ، ولو درسوا فى دقة — أربابها وحالهم وشعورهم لوجدوا الفرق الواسع بين ما يتخيلون وما يدرسون ، ولوجدوا أن أكثر الأغنياء يعانون من غناهم ما لو عقلوا وخف عنهم جنون الملكية نزلوا للمجتمع عن شىء مما يملكون ويعانون ، فسعدوا وأسعدوا .

أليس عجيباً فى هذه الحياة أن ألذ شىء فى الملكية خيالها ؟

أحمد أمين

مجموعة السنة الأولى للرسالة

من ذكريات العراق

تأمل ســـاعة *

بقلم احمد حسن الزيات

فى الشرفة الوسيعة من فندق (كارلتون) جلست أُطالع فى صفحة دجلة ما خطَّته يدُ القرون . وكانت شمس الأصيل تنفض تبْرها على أمواج النهر وسطوح الكرخ وحواشى الأفق ، والطبيعة الأنيفة تنم بالصفاء والبهاء والدفء ، بعد ما أجهدها رعد الأمس وبرقه ، وأغصّها وابل الغمام وودقه ، فالسماء مصرية الأديم ، والجو عبهرى النسيم ، والأفق الغربى مزدان بقزَعات من السحاب الأبيض الرقيق ، والماء قد استحال لجينه نضاراً من طول ما حمل اليه السيل من كنوز الجبل .

أخذت أصوِّب النظر وأصعده فى النهر والجسر والشاطىء ، فأرى أنماطاً من الناس ، وأخلاطاً من الأجناس ، وصوراً من الأشياء ، تنكرها العين ويعرفها القلب ، لأنها شرقية ، ولأنها عربية ، ولأنها مظلومة ! ....

ذكَّرتنى هذه المناظرُ مناظرَ غابت فى سويداء القلب ولفائفه : ذكرنى تقابلُ الرصافة والكرخ على دجلة ، تقابلَ القاهرة والجيزة على النيل الأعلى ، والمنصورة وطلخا على النيل الأسفل ! .

وفى هذه الأماكن الحبيبة مدرج طفولتى وشبابى ، وملتقى أحبتى وصحابى . فهاجت شجونى وسالت شؤونى . فوضعت جبهتى المضطرمة على سياج الشرفة البارد ، وعدت بالذاكرة وشيكاً إلى بغداد . ثم انطويت على نفسى ، وأخذت أتفكر وأتذكر وأعمَهُ فى غيابة الماضى ، حتى انقطع ما بينى وبين الحاضر ، وانمحى من حوالىَّ العالم بأسره

وحينئذ انبعث من جانب الكرخ صوت شادٍ يرَجِّع بالنغم العربى الشجى ، فخيل إلىَّ أنى أرى دجلة (الأمين) ، وجسر (ابن الجهم) ، وكرخ المُجّان والخلعاء من أهل بغداد المترفة ؛ ووقع فى سمعى أن هذا الشادى يقول :

سقى الله باب الكرخ من متنزه ... إلى قصر وضاح فبركة زلزل

مساحب أذيال القيان ومسرح الـ ... ـحسان ومثوى كل خرق معذل

وصُوِّر لى أننى أسمع غناء الملاحـين فى الزلازل ، وأبصر (الدلفين) و (العقاب)(١) يمخران العباب بالأمين وحسانه وقيانه ونداماه ! . . . وتراءت لى على الشاطئ الشرقى قصور البرامكة الحزينة ، يقابلها على الشاطئ الغربى قصور الخلفاء والأمراء تعج بالجوارى والغلمان ، وتضج بالشعراء والندمان ، وتموج بالسادة والقادة والجنـد ، وتفيض بالنعيم والجلال والعظمـة ، وتمثلت فى خاطرى بغـداد الأمس كباريس اليوم فى عـدد سكانها ، وفخامة بنيانها ، واتسـاع رقعتها ، وازدهار مدنيتها ، وانبعاث الحضارة من مجامعها ومنابرها ، وانبثاق الهداية من جوامعها (٢) ومنائرها . إلا أن باريس تشع فى أجواء مشرقة تسطع فيها شموس أخرى تضارعها وتصارعها ، أما بغداد التى عنت لهـا وجوه القياصرة ، وكان من جنـدها أبناء الدهاقين والأكاسرة ، فكانت شمساً واحدة ترسـل الضوء والحرارة والحياة فى القارات الثلاث فتبدد ماغشيها من ظلام وخمود ونوم

لا أدرى متى كنت أصحو من نشوة هذهِ الذكريات الحلوة المرة ، لولم يُعدْنى الى وجودى صوت منكر من أصوات الحضارة الحديثة ، قد انطلق من جوف مركب بخارى عظيم ، كان يشق بحيزومه صـدر دجـلة ، فسرحت طرفى فى الأفق فاذا شمس الشرق تجاهـد ظلام الغرب ، واذا القزعات قد ارتد بياضها سواداً ضربت فى حواشـيه حمرة الشفق ، فصارت كأجنحـة الغربان الدامية ، أو كقطع من الفحم علقت بأطرافها نار حامية . ثم نظرت شمالا فاذا المكان الذى سجدت فيه رسل (شارلمان) امام الرشيد يخفق فوقه علم غريب (٣) ، لا هو أسود ولا أبيض ولا أخضر (٤) واذا قطع من السحائب السود قد انعقـدت فوقه ملبدة هنا مبددة هناك . . . فقلت فى نفسى ليت شعرى أهذه بقايا أعلام الرشيد والمأمون ، أم هذه أثواب الحداد لبستها سماء العراق على السعدون (٥) ؟ !

الزيات

---

(١) الدلفين والعقاب مركبان من مراكب الأمين (٢) جوامع جمع جامعة

(٣) ذلك العلم الانجليزى على دار المعتمد البريطانى فى الكرخ

(٤) هى ألوان اعلام العرب الثلاثة فى القارات الثلاث

(٥) كانت العراق يومئذ لا تزال مروعة بانتحار زعيمها الكبير عبدالمحسن السعدون

---

* كتبت فى ٢٦ [illegible]

حمار بوريدان

بقلم السيد محمد روحي فيصل

لعل أشد الأدواء فتكاً في النفوس، وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً، وأعمقها أثراً وتغلغلاً، هذا الضعف في الارادة أو التردد في العمل. يقعد بالمرء عن تحقيق رغائبه وآماله، ويمسكه عن تنفيذ مشاريعه وخططه، ويحول بينه وبين الانتاج المتصل الذي يفيد الأمة ويفيد الانسانية ثم يدفعها نحو المثل العليا الثلاثة: الخير والجمال والحقيقة

ومن العجب أن التردد على شدة فتكه وكثرة ذيوعه وعمق تغلغله لا يحسب حسابه ولا يلتفت إليه كأنما هو عرض من هذه الأعراض الهينة اليسيرة التي لا قيمة ولا وزن، أو كأنما هو شذوذ خفيف ضئيل في اتجاه مجرى الارادة الصحيحة القوية!! ولعمر الحق ما شيء أنكس للرقي والمدنية وأدعى الى الجمود والموت مثل التردد والاحجام «يصيب المرء في حياته العملية فيغل يده، ويشل عقله، ويتركه فريسة للألم من ضعفه، والخجل من صحبه. تظهر أعراضه في صغار الأمور وكبارها، فيكون في انتقاء الثوب واختيار الحالة، وفي الاقدام على الزيارة القصيرة والرحلة الطويلة، ويدخل في لذاذات الرجل وأعماله، كما يدخل في إدباره وإقباله» (١)

أجل! يكون التردد في زورة الصديق، وافتتاح الحانوت، وارتياد المقهى كما يكون في طلب العلم والقوت والمال. وسواء أدخل في حقير الأمور أم جليلها فانما هو يقف النهضة، ويبطىء الحركة، ويعوق عن التجدد والابداع

لقد كشف السيكولوجيون عن نفسية المتردد، وأوضحوا المظاهر المتباينة العنيفة التي تطغى عليه وتأخذه بالحيرة والقلق فقالوا إن كل فعل إرادي لا بد أن يجتاز على التوالي أربعة أطوار:

(١) تصور غاية الفعل، وإدراك المقصود من تحقيقه

(٢) طور الموازنة والمفاضلة. ذلك بأن كل فعل إرادي له بواعث قلبية وجدانية تخلقها الأهواء والميول، وتغذيها العواطف والنزعات، وتنميها المشاعر والأحاسيس. وعوامل عقلية ذهنية مصدرها النطق والمحاكمة والمعرفة. فالمرء في هذا الطور يوازن بين البواعث القلبية والعوامل العقلية ويفاضل بينهما، ويقوم بعملية حسابية يزن بها قيمهما

(٣) طور التقرير، وذلك أن المفاضلة بين البواعث والعوامل لا بد أن تسفر عن نتيجة هي حل الفعل وتقريره

(٤) طور التنفيذ — والتنفيذ تاج يزين هام الفعل الارادي، ويتمم محاسنه

شاء بعضهم أن يحذف من هذا التقسيم طور التنفيذ لأن الفعل الارادي في نظره غير مرتبط من الوجهة النفسية بالتنفيذ أو عدمه. على أنه ينبغي أن يكون ثمة بداءة في تحقيق الفعل واتجاه نحو العمل. لذلك قلنا إن التنفيذ «تاج يتمم محاسن الفعل الارادي ويزين هامته»

فالتردد إنما يكون في الطور الثاني، طور الموازنة والمفاضلة. والمتردد إنما تتجاذبه البواعث والعوامل، يوازن بينهما ويفاضل بين قيمهما ثم لا ينتهي من موازنته ومفاضلته، ولا يضع حداً لهذا الاضطراب والفوضى. تناجيه بواعث القلب فيتفيأ ظلاله ويطمئن الى أفنانه، ثم لا تلبث عوامل العقل أن تخرجه من طمأنينته وتغزو نفسه كلها. فهو ساحة حرب ما تكاد البواعث القلبية تنتصر فيها حيناً إلا لتنخذل وتتراجع أمام قوة العوامل العقلية، وشدة منعتها، وعظمة سلطانها

هكذا كتب الله على المتردد أن يقف بين بين، لا يقرر ولا ينفذ وإنما يخضع لطائفة من الاعتبارات النفسية المتعاكسة. وهذه الاعتبارات قد تنشأ عن خصب في الخيال، وسعة في المعرفة، وقوة في التفكير. وقد تنشأ عن تيقظ في الحيوية الانفعالية، واشتداد في الميل والهوى، وتدفق في الرغبة والعاطفة

ومهما يكن منشأ هذه الاعتبارات القوية فان المتردد عضو أشل «يعيش على هامش المجتمع البشري» كما يقول الدكتور بلوندل

* * *

قد تسأل بعد هذا: إذا كان الأمر ما تقول فما شأن الحيوان هنا؟ ومن يكون بوريدان هذا؟ وما هي العلاقة التي تصل عالم النفس الانسانية بعالم «الحمير»؟؟

(١) راجع «المتردد» في العدد الخامس من الرسالة

الحق إنه سؤال وجيه ممن لا يعرف وجه الاتصال والتقارب.

فأما بوريدان فهو فيلسوف من فلاسفة اللاهوت والدين المسيحى فى العصور الوسطى ، ولد فى مدينة بيتون من أعمال فرنسا الشمالية وتوفى عام ١٣٦٠ ميلادية . ينتسب الى مدرسة « السكولاستيك » المشهورة بالجدل الدينى والتفكير الغيبى ، والتى من رجالها « روجر باكون » و « القديس بونا ڤانتير » و « دونزسكوت » . وأما الحمار فقد شاء بوريدان أن يوضح « حرية الاختيار » فى الحياة والنفس بتشبيه طريف ومثل قريب فافترض وجود حمار جائع ظمآن على مسافة معينة واحدة من إناء فيه ماء عذب ، ومعلف فيه تبن وشعير . . . وطفق الحمار يفكر على جوعه وظمئه بأى الأمرين يبدأ : أيملأ بطنه أولاً أم يروى ظمأه ؟ فما يكاد يتجه نحو الماء مثلاً حتى ينكفىء راجعاً نحو التبن والشعير ! ! وقد كان فى وسعه أن يختار الذى يريد ويلتهم مايهوى ، ولكن الحمار المسكين بقى يفكر على ذلك النحو من المنطق العقيم حتى سقط جثة هامدة ، ومات جوعاً وظمأ ! !

هذه القصة الموجزة الخيالية تصور ، غير حرية الاختيار ، طبيعة التردد وعاقبة المتردد . فأما طبيعة التردد فقد شرحناها من الناحية النفسية ، وأما عاقبة المتردد فهى كما رأيت : الفناء والموت . ذلك بأن الحياة تتطلب السرعة والحركة والعمل لا الجمود والاحجام . وكل من لابس الحياة وخاض غمارها فانما ينبغى له أن يعمل ويعمل ، لا يأبه بالموانع والصعوبات التى قد يصادفها فى طريقه وتتعثر بها رجلاه ، وإلا فان مصيره المحتوم التخلف عن الحياة ، والانحدار نحو التفكك والانحلال . يذهب غويو Guyau الى أن العمل المستمر أو الفاعلية الشديدة إنما يجب أن تكون المثل الأعلى فى الأخلاق ، لأن الحياة ليست تردداً ومحاسبة وإنما هى عمل وإنتاج Vivre, ce n' est pas calculer, c' est agir.

ولسنا نحب هنا أن نقيد الفاعلية الشديدة بالخيرية والشرية ، وإن شئت فقل إننا لن نتعرض للخيرية والشرية فى صدد الحث على الفاعلية الشديدة والجهد الدائم .

وعلم الأخلاق الحديث المبنى على التجربة والمشاهدة يأبى ذلك وينفر منه كل النفور . فما يدرينا أن الأمر الذى نحكم بخيريته وشرف غايته يصبح شراً كله اذا نحن طبقناه ومارسناه فى الحياة العملية . فالخيرية التى نخلعها على طائفة من الأمور دون أخرى هى خيرية سابقة للتجربة ومتقدمة على المشاهدة àpriari . فلنزاول إذن كل الأمور ولنتصل بكل شيء ، ولتكن حياتنا ملآى مستفيضة الجوانب ، متصلة الحركة ، قوية الارادة

والارادة العاملة المحركة هى كنه الوجود وأس الكون كما يقرر شوبنهور [1] إذ يعتقد أن الأحياء جميعاً محكومون بارادة باطنية لا شعورية عمياء ، دائبة الهمة والنشاط ، متجددة الشهوة والرغبة ، تسيطر على الفكر والعقل سيطرة عظمى .

إن صاحب الارادة القوية سيد عواطفه وآرائه ، فرغائبه تنقلب آنا الى إرادة فاعلة ، ليس يعرف المستحيل ولا يقر بوجوده فى قاموس الأعمال !!

* * *

وبعد . ما دواء التردد ؟ وكيف السبيل الى الشفاء من هذا الداء ؟ ذكر أطباء النفس طائفة من العلاجات الناجعة ، منها ماهو لمداواة الجسم ومنها ماهو لمداواة الروح : ينبغى قبل كل شيء ترويض الأعضاء وتقوية الحواس وامتلاك الصحة لأن للارادة أساساً عضوياً ، ولسنا نبالغ اذا قلنا إن قوة العضلات هى الصورة الأولية الابتدائية لقوة الارادة . فالمريض لايستطيع تحقيق أمانيه لأن جسده فاتر العزم خائر القوى ، وينبغى الطاعة وحب النظام ، فالطفل اذا أطاع غيره فانما يتعلم كيف تكون السيادة على الذات وقهر النفس ، وهنا قد يكون للأسرة والمدرسة الأثر البليغ فى ذلك

كذلك ينبغى تثقيف العقل وتهذيب الشعور . أما تثقيف العقل فيكون بالتفكير الصحيح ، والانتباه الثابت ، وتصور غاية الفعل بصورة محسوسة مسهبة ، وإدراك مختلف المذاهب والنحل . وقد قال ديكارت « إن الارادة القوية فى العمل تقتضى وضوحاً شديداً فى العقل » . وأما تهذيب الشعور فيكون بالميل الى المثل العليا الانسانية ، والاعتدال فى الحب والهوى بحيث لا تطغى البواعث القلبية على العوامل العقلية فتجرى الموازنة فى جو هادىء ثم تسفر عن التقرير والتنفيذ ويسلم المرء مما وقع فيه حمار بوريدان .!

حمص — محمد روحى فيصل

---

(١) راجع الصفحات الأولى من كتابه « العالم إرادة »

الانقلابات السياسية المعاصرة

وأثرها فى تطور التفكير والآداب

للأستاذ محمد عبد الله عنان

من المبادئ الخالدة أن الفكر تراث الانسانية ، وأن ثمار التفكير البشرى ملك حق لجميع الأمم والناس ، وأن العلوم والآداب والفنون لا وطن لها ولاتعرف فوارق الجنس والقومية . وقد كانت هذه المبادئ وما زالت هى الغالبة فى توجيه الفكر الانسانى ؛ واذا كان التفكير يتأثر فى أحيان كثيرة بالعوامل والاعتبارات القومية فالمفروض دائماً أن هذه المؤثرات لا تجنى على المبادئ والحقائق الخالدة . فقد مجدت الحرية مثلا فى كل العصور ، واعتبرت أعز أمنية للشعوب والأفراد وأجدرها بالتضحية ، وقدست حرية الفكر واعتبرت دائماً عنوان الكرامة البشرية ؛ واعتبر الأخاء والمساواة منذ الثورة الفرنسية من أقدس المثل الانسانية . ولكنا نرى اليوم هذه الحقائق تهدر فى أمم عظيمة ، فالحريات بأنواعها تسحق وتذم ، وتعتبر العبودية نظاما ، والخضوع الأعمى وطنية ، والقومية المتعصبة تطغى على كل المبادئ والمثل الانسانية ؛ ونرى التفكير والآداب فى هذه الأمم تنزل على وحى السياسة وإرادتها ، وتغدو ألسنة مصفدة لتأييد المبادئ والدعوات الجديدة .

وهذه ظاهرة خطيرة فى عصرنا تستحق الدرس العميق . فمنذ الثورة الفرنسية لم يشهد العالم المتمدن انقلاباً فى النظم الاجتماعية والفكرية كالذى نشهده اليوم كأثر للانقلابات السياسية التى وقعت منذ نهاية الحرب فى كثير من الأمم الأوربية . وقد كانت الحرب الكبرى ذاتها وما ترتب عليها من النتائج السياسية والعسكرية أكبر عامل فى التمهيد لهذه الانقلابات ، فقد هزت الحرب دعائم المجتمع كله ، وقوضت كثيراً من نظمه وآرائه ومعتقداته القديمة ، وعصفت ويلاتها وأزماتها المتوالية بالنفوس والعزائم ، وبعثت اليأس والاستكانة الى كثير من المجتمعات ، وظهر أثر ذلك كله واضحاً فى آداب ما بعد الحرب . ونلاحظ فى هذه الفترة أن النزعات الحرة والثورية تغلب على معظم ألوان التفكير والأدب ، وانها تتجه غالباً الى الثورة على المبادئ والآراء القديمة ، سواء فى فهم النظم السياسية أو الاجتماعية ، أو تقدير الفضائل والأخلاق . على أن هذه الآثار العامة ليست كل شىء فى هذا الانقلاب الفكرى العميق الذى نريد أن نتحدث عنه . وانما يمتاز الانقلاب بآثاره المحلية والخاصة ، فهذه الآثار تذهب اليوم فى بعض الأمم الى إنكار الماضى كله والمثل الفكرية والأدبية والانسانية كلها .

وهذه الثورات الفكرية والاجتماعية العميقة ترجع كما قدمنا الى الحركات السياسية والقومية العنيفة التى جاش بها كثير من الأمم عقب الحرب ، فقد كان لهذه الحركات أكبر أثر فى توجيه التفكير والآداب والثقافة . والحقيقة أننا لا نستطيع أن نلاحظ مثل هذا الانقلاب العميق فى مناحى التفكير والآداب إلا حيثما وقع انقلاب سياسى عميق يقوم على إنكار الماضى ومبادئه وآرائه القديمة . ففى روسيا السوفيتية حيث سحقت الثورة دولة القياصرة والمجتمع الروسى القديم بكل ما فيه من نظم ومبادئ وتقاليد ، وقامت نظم سياسية واجتماعية واقتصادية جديدة هى البلشفية ، نرى التفكير الروسى يتميز بلون ثورى عميق ، ونرى نظريات الثورة العالمية ، وسيادة الطبقات العاملة ، والأخاء الدولى ، ونضال الطوائف ، وسحق الرأسمالية وغيرها تغمر الأدب الروسى المعاصر ، ونرى الثقافة الروسية كلها تتجه الى غرس هذه النظريات واعتبارها قوام الحياة الروسية العامة ، وغذاء التفكير والآداب والفنون . ولم يبق من الأدب الروسى القديم مايستحق التقدير فى نظر روسيا البلشفية سوى آثار المفكرين والكتاب الأحرار والثوريين ، مثل ترجنيف ودوستويفسكى وتولستوى والبرنس كروباتكن ، تلك الآثار التى تصف شقاء المجتمع الروسى فى عصر القياصرة ، والتى كانت غذاء للحركة الثورية . وفى تركيا الكمالية نرى نواحى التفكير والثقافة تصطبغ بصبغة غربية جديدة هى أثر مباشر لاتجاه ثورة التجديد التركى ودفعها لتركيا نحو الغرب ، بعد أن لبثت قروناً شرقية أسيوية ، ونرى زعماء تركيا الجديدة يحاولون أن يخلقوا للشعب التركى عقلية جديدة تقوم على نسيان الماضى وبغض دول السلاطين ، وتحقير العصبية الشرقية أو الاسلامية ، وتمجيد الاصلاحات الجديدة ، والاندفاع وراء التيار الغربى . ويذهب زعماء تركيا الجديدة فى غرس النزعة القومية فى التفكير والآداب

الى حدود الاغراق ، فتراهم يغيرون قواعد اللغة التركية وألفاظها ويستبعدون منها الألفاظ المشتقة من لغة أخرى ، ويضعون لتركيا تاريخاً جديداً تغفل فيه الحقائق العلمية والتاريخية الراسخة ، ويقال لنا فيه إن الحضارة التركية هي أساس الحضارة البشرية ، وأن اللغة التركية القديمة هي مصدر اللغات البشرية ، وغير ذلك من المزاعم المغرقة التي تنقضها أبسط الحقائق التاريخيـــة ؛ وهذه المزاعم والنزعات كلها تمثل اليوم بقوة في الأدب التركي الجديد ، ولا يسمح للمفكرين والكتاب الترك أن يعالجوا غيرها أو أن يعالجوها بما يخالف النظريات الرسمية ؛ فالأدب التركي اليوم كالأدب الروسي ، أدب حكومي تشرف عليه الحكومة وتوجهه الى ما ترى فيه تحقيق برنامجها السياسي والاجتماعي .

وقد كانت الفاشستية بلا ريب أعظم حركة سياسية اجتماعية حدثت بعد الحرب ؛ وكان لها في توجيه التفكير والآداب أعظم أثر . ونلاحظ أولاً أن أثر الانقلاب الروسي في هذا التوجيه أبعد مدى من حيث كونه ينكر أسس المجتمع القديم كلها ، سياسية كانت أو اجتماعية أو اقتصادية ، ولكن الفاشستية لا تذهب في الهدم الى هذا الحد ؛ وبينا تذهب البلشفية الى تقوية النزعات الثورية والحرة في حدود الطغيان البلشفي ، إذا بالفاشستية تقمع كل نزعة ثورية أو حرة تتجه الى محاسبتها . وقد كانت الفاشستية الى ما قبل عامين حركة محلية ايطالية ، ولكنها تغدو اليوم حركة أوربية عامة تحدث آثارها السياسية والاجتماعية والفكرية في ألمانيا وبولونيا والنمسا وغيرها . ولما كانت الفاشستية حركة طغيان شامل ، فانها تبسط سلطانها على الحركة الفكرية كما تبسطه على كل قوة معنوية أخرى ، وتحاول أن تصفدها في حدود برنامجها ، وأن تسيرها طبقاً لوحيها وارشادها . وهنا فرق جوهري بين موقف الديموقراطية وموقف الفاشستية من الحركة الفكرية ؛ ذلك ان الثورة الديموقراطية تقع دائماً في المحيط العقلي ، ثم تحدث آثارها المادية بعد ذلك في الأنظمة السياسيـة والاجتماعية ؛ ولكن الفاشستية تقوم بالعكس في المحيط المادي وبوسائل العنف المادية ، ثم تحاول بعـد ذلك أن تغزو الميدان العقلي وأن تجعل من الحركة الفكرية أداة لتوطيد سلطانها كما تجعل من الجيش والأسطول ؛ ومن أهم ظواهر الفاشستية انها تعمل على مطاردة القوى العقلية المتازة التي لا تخضع لوحيها ، ولا ترعى سوى الأذهان الضئيلة المتواضعة التي تهرع لخدمة كل سلطة جديدة وكل نظام جديد

ويبدو أثر الثورة الفاشستية في الحركة الفكرية الايطالية وفي الحركة الفكرية الألمانية بشكل قوي واضح . ففي ايطاليا تسود المبادئ الفاشستية الرجعية في توجيه التفكير والآداب والفنون والحياة العقلية كلها كما تسود الحياة السياسية والاجتماعية ، وتغمر الثقافة الايطالية في جميع نواحيها ، وتحاول أن تحدث أثرها في توجيه الثقافة العالمية . ولما كانت الفاشستية تنكر الحريات العامة ، فهي لا تعترف بحرية الفكر بل تبغضها وتسحقها بكل قواها ، لأنها ترى في وجودها خطراً على كيانها ؛ وحرية الفكر أسمى مزايا الانتاج العقلي والفني ، واذاً ففي ظل هذا الطغيان الذي يسلب الفكر أقدس حقوقه ، لا يمكن أن يزدهر التفكير الرفيع ، ولا أن تصل الآداب والفنون الى ذرى القوة والصقل ؛ وتغدو الحياة العقلية مطبوعة بطابع التماثل الممل ، لأنها تسير وتسخر طبقاً للوحي القاهر . هذا الى أن التفكير والآداب في هذا الأفق المصطنع قد جردت من أقدس المثل التي استرشدت بها في كل العصور ، فأصبحت تمجد العبودية لأنها أسيرة الطغيان ، وتمجد الحرب لأنها صنيعة القوة الباغية ، وتسرف في إذكاء التعصب القومي لأنها جردت من المثل الانسانية الخالصة . وهذه الظواهر التي هي وليدة الطغيان قبل كل شيء تتجلى اليوم بأوضح ألوانها في ألمانيا على حداثة عهدها بالفاشستية ؛ فان الحركة الوطنية الاشتراكية الألمانية ما كادت تظفر بقلب نظم الحكم في ألمانيا ، واقامة الطغيان على انقاض الديموقراطية ، حتى أخذت تفرض مبادئها ونظرياتها على التفكير والآداب والثقافة الألمانية ؛ وهي اليوم تمثل في الحياة الألمانية بقوة ، ونظرياتها القومية والجنسية المغرقة تطبع التفكير الألماني في جميع نواحيه العلمية والأدبية والفنية ، بل هي تذهب في الجرأة الى حد محاولة التأثير في العقيدة النصرانية وصبغها بصبغتها . والعلم والتفكير والآداب والفنون في ألمانيا تسخر كلها لخدمة الدعوة الوطنية الاشتراكية وتمجيد مبادئ هتلر ، واثبات نظرياته المغرقة في تفوق الجنس الآري على الأجناس الأخرى ، وتفوق السلالة الألمانيـة على سائر المخلوقات ؛ واثبات صلاحيـة الحكم المطلق وفشل الحكم الديموقراطي ؛ وتمجيد

الخضوع المطلق للزعامة ، والانتقاص من قيمة الحريات العامة ، وغير ذلك مما تضمنه برنامج الوطنية الاشتراكية «واتجيل» هتلر. وقد ذهب الوطنيون الاشتراكيون بعيداً فى السيطرة على زمام الحركة العقلية فى ألمانيا ، فبسطوا اشرافهم على الجامعات ، وأصدروا تشريعاً يصفد الصحافة ويجعلها مهنة شبه حكومية ، ويجعل الكتاب دعاة للوطنية الاشتراكية وطغيانها . وكما أن الفاشستية الايطالية بعثت الى الأدب الايطالى بصور رومة القديمة وذكريات الأمبراطورية الرومانية ومجد القياصرة ، وبالطموح الى احياء هذه الذكريات والصور فى حياة ايطاليا وآمالها ، فكذلك بثت الوطنية الاشتراكية فى الأدب الألمانى مثل الأمبراطورية المقدسة الذاهبة ، وصور ألمانيا العسكرية الظافرة الزاهرة تحمل زعامة الجنس الآرى كله ، وتملى على أوربا القديمة ارادتها ومثلها .

وقد كان للانقلابات السياسية والقومية دائماً أثرها فى توجيه التفكير والآداب فى جميع الأمم والعصور ؛ ولكن لعل التاريخ لم يشهد عصراً غمرت فيه القومية المتطرفة والنزعات الرجعية التفكير والآداب كعصرنا؛ذلك أن التوجيه القومى المعاصر يذهب الى حد الأغراق ويتخذ صوراً من العنف لم يسمع بها ، ويحاول أن يسيطر على جميع نواحى الحياة العامة ، وأن يتدخل فى صوغ العقلية الفردية فضلا عن صوغ العقلية العامة . ولا ريب ان الحركات القومية تكسب من وراء ذلك قوة ، وربما كسبت الأمم فى بعض نواحى الحياة المادية حيوية جديدة ، ولكن الحركة العقلية تعرض بالعكس لأخطار كثيرة . ذلك لأن الثورات القومية العميقة تقوم على العوامل السياسية قبل كل شىء ، وتستخدم فى سبيل مآربها سلاح الدعوات المغرضة والنظريات الموضوعة التى لا تقرها المثل الانسانية دائماً ، ولا يقرها العلم الخالص والحقائق المنزهة . والثقافات التى تطبعها أهواء السياسة والنظريات المغرضة ، والآداب التى ترغم على تصوير ألوان مصطنعة من الحياة العامة والحياة الفردية ، وتحمل على تمجيد البطولة الزائفة ، وتمجيد العبودية فى عصر النور والحريات ، وامتهان المبادئ والمثل المقدسة ، وتزييف حقائق العلم والتاريخ الراسخة ، هذه الثقافات والآداب ليست جديرة بأن تقود الأمم العظيمة ، وليست جديرة بالأخص بأن تتخذ مكانها بين تراث الانسانية الرفيع .

إن تطور التفكير والآداب على هذا النحو فى أمم عظيمة كايطاليا وألمانيا ، هو بلا ريب ظفر جديد للمبادئ والاعتبارات المادية ، ولكن ظفر المبادئ والاعتبارات المادية على حساب الحياة العقلية والروحية من ظواهر انحلال الحضارات والأمم ؛ وإن حضارة تمجد فيها العبودية ، وتطارد فيها العلوم والآداب ، لأجدر بالعصور الوسطى منها بعصرنا ؟

محمد عبد الله عنان
المحامى

من ذكرياتى فى مصر :

ساعة عند أمير الشعراء

لا أزال أذكر تلك الساعة السعيدة التى هبطت فيها مصر لأول مرة فى حياتى عام ١٩٢٩ فقد كانت مليئة بالخواطر ، فياضة بالآمال ، محفوفة بالاحلام . وكانت الفصل بين ماض راحل ، ومستقبل ماثل ، لقد تذكرت وأنا أجتاز ميدان (باب الحديد) وطرفى شاخص الى تمثال (نهضة مصر) القائم وسط ذلك الميدان الفسيح ، اننى قد بلغت ما كنت أتشوف له وأصبو اليه ، فها أنا فى تلك المدينة الجميلة التى طالما تاقت الى مرآها نفسى ، ونزع اليها هواى ، وها أنا فى ذلك البلد الأمين الذى كان ملاك خاطرى وقيد ناظرى ، ومعقد أملى ، ومحط رغابى ، كم كنت أتمنى فى تلك الساعة لو يتاح لى شهود مصر كلها فاجتلى ما فيها ، لقد تمثلت أمامى بحضارتها المزيجة من روح الشرق الخالدة ، أو نفسية الغرب الجديدة ، فعملت فيها كل منهما عملها ، فظهرت من الاثنتين ثالثة كانت رباط الشرق بالغرب ، وجماع شخصيتيهما المتباعدتين من أقدم العصور حتى اليوم .

وتمثلت أمامى باعلامها الميامين ، وأبنائها المقاويل ، وأساتيذها الأماثيل . وشعرائها المفلقين ، أولئك الذين تسمع دوى اسمهم فى انحاء الشرق يملك عليك سمعك ، ويأخذ بمجامع قلبك ، فرفعوا اسم مصر وبنوالها فى الادب والفن مجداً أصبحت به محط الرجال وقبلة الآمال . .

رحم الله (شوقى وحافظ) فقد كنت اذا ذكرت مصر أومرت على خاطرى الحياة فى جنبات النيل ذكرت قبل كل شىء (شوقى وحافظ) وانهما يقيمان فى هذه المدينـــة القائمة فى هذا السهل الوسيع ، يحرسها (أبو الهول) الرابض فى كنفها ، هازئاً بالزمن ، ساخراً من هذه الحياة الخاطفة . . والحق أن (شوقى وحافظ) أقاما لها من المجد ماأخرس كل لسان ، فملكا على الناس اسماعهم ، وانك لتسمع لها صوتاً يرن فى الآذان ، حيثما وليت وجهك فى هذه البلاد العربية المترامية الأطراف ، فكان مما أردته وأنا فى مدينة شوقى وحافظ ان اراهما حق الرؤية ، وان أعرفهما حق المعرفة ، وهكذا كان . .

لقد أشربت النفوس حب شوقى تخالط اللحم والدم ، لانها كانت تجد فيه فيضاً من العبقرية لاينضب معينه ، وكنزاً من الابريز يزيد فى قدره تعاقب الأيام والسنين ، هذا الى ما كان عليه من عظيم الخلق ، ونبل القصد ، وسجاحة النفس ، وعفة اللسان ، وحب الخير ، وصلابة الايمان ، والملاحاة عن بيضة الدين والعربية بما حباه الله من صارم ذرب ، ولسان عضب ، وقول فصل ، يدعمه غزارة العلم ، وضلاعة فى التأثير ، وشت الخصوم .

رأيت (شوقى) لأول مرة فى دمشق بـ (كازينو الخديوية) وكان بالقرب من الطاولة التى كنت عندها فعرفته من غير دليل ، وعرفت أنه الشاعر العظيم بلا لبس ولا مراء ، وان لم يكن يرشدنى اليه أحد فما أعظم المثلة بين هذه الاسرة والقسمات وبين تلك التى كنت اتوسمها فى صوره فى الكتب والمجلات . .

لقد كنت جد شيق الى التعرف به فى تلك الفترة من الزمن ، ولكن كم كنت أرانى فضولياً اذا قمت بذلك فى غير الفرصة السانحة التى تقضى بهذا التعارف ، فحملت نفسى على ارجاء ذلك الى الظروف والمناسبات . .

وفى عام ١٩٣٠ بعد تجوال أربعة أشهر فى سورية وفلسطين ، عدت الى القاهرة للمرة الثانية غب عطلة الصيف . فوجدت الكثير من شباب العرب فى معاهد مصر يزمعون انشاء جمعية باسم (جمعية الوحدة العربية) تلك التى طالما كنا نتغنى بذكرها ، ونؤكد وجوب تأسيسها فى السنة المنصرمة لضم شمل أبناء الضاد وعقد تعارف وثيق بينهم على ضفاف النيل السعيد ، وسرعان مانضجت تلك الفكرة ، فآتت أكلها عن قريب ، ولقد وجدت من (شوقى) رحمه الله خير نصير لها ، حريص عليها ، مبشر بها ، فاوفدت الجمعيـة ممثلين لمختلف أقطار العرب كنت أحدهم لتقديم الشكر اليه باسمها ، وتهنئته بابلاله من علته ، فما كان أعظم ابتهاجه بنا ، لقد كان يحثنا على مواصلة مانحن فيه ، ويضرب لنا الأمثال فى ذلك بصوته الضعيف المتقطع يخرجه بتكلف وعناء ، مدعماً اياه باشارات مختلفة من يديه يستعين بها على اظهار مايريد ، لقد كان أساى فى تلك الساعة عظيما كلما نظرت الى الشاعر وما يقاسيه ، التياعاً مما سيصيب دولة الشعر فى المستقبل ، واشفاقاً على شوقى مما هو فيه من داء كامن بالغ ، واعياء شامل وشحوب باد . . .

لقد كان ذلك الاجتماع أول اجتماع عقد صلة المعرفة بينى وبينه ، وكنت كلما زدت تعرفاً به ، ازددت اعجاباً بعبقريته الفياضة ، وزدت شوقاً الى مجلسه الجامع لافانين الادب ، وروائع الحكمة ، وطرائف الاخبار وأوابد الملح والمفاكهات ، ولا غرو فى ذلك فشوقى يمثل عصراً بكامله ، عصراً كان فيه مالك سمعه ، وشاغل لبه ، ومثير مشاعره ، وهو خير مرآة له ، بل خير من سيصوره للأجيال الآتية حق التصوير .

وفى عام ١٩٣٢ عدت الى مصر بعد أن فارقتها مايناهز سبعة أشهر ، وكنت اذ ذاك فى ضيق من دروس متراكمة ، اتدارك ما فات ، فشغلتنى مشاغل المراجعة والحياة بين الكتب ، والحرص على الوقت القصير من زيارة شوقى وتجديد عهد الاجتماع به . .

وأقبلت طلائع الصيف لهذا العام ، وانتهت أعوام المدرسة اللذيذة ، أو قل الحياة فى مصر ، ودنا أوان العودة الى الوطن العزيز ، والتزود من النيل بذكريات على جنباته لا تنسى ، وصور باقية لا تمحى ، فقـد أوشكت أن تكون تلك الحيـاة المغمورة بمختلف الخواطر ، المحفوفة بشتى الالوان ، ذكراً ماضياً ، أوخيالاً سارياً ألم بنائم ، وأطاف بحالم .

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا
أنيس ولم يســمر بمكة سامر

أى والله : لقد أوشكت أن تكون تلك العهود اذ ذاك ، ذكريات دفينة يضيفها الزمن الى خزانته ، تتجدد فى نفوسنا كلما

جد عهد ، وهاج بعد ، وحالت حال ، ولاح خيال ، وهاهى اليوم قد أصبحت كذلك ، مطمورة فى الصدر ، رهينة فى الفكر ، تبتعثها لواعج الهم ، وتشب جذوتها كوامن الألم .

قلت لقد دنا الفراق ، فبعد أيام معدودات امتطى القطار الزفوف ، وبعده السيارة الربيدة ، الى حيث ملاعب الصبا ، ومجامع الألفة والهوى ، والتئام الشمل ، ولقيا الاهل ، فكان من الواجب بعد هذا وأنا أودع مصر عن قريب أن ألقى « شوقى » ، وأن أودعه ، وما كنت أحسب أن ذلك الوداع سيكون الاخير ، وان ذلك الاجتماع ليس بعده اجتماع ، فكنت قد عقدت النية على الذهاب اليه . والتزود من حديثه العذب ، وبينا أنا كذلك اذ جاءنى صديق عراقى يخبرنى بدعوة (شوقى) لى معه فى داره (كرمة ابن هانئ) ضمن نخبة امجاد من غطارفة مصر ، وأهلة هذا العصر ، فما منهم الا من استفاض ذكره ، وعلا فى الفضل كعبه ، ونما فى المجد حظه . .

ذهبت أنا ورفيقى فى الموعد المنتظر الى (كرمة ابن هانئ) ظهراً ، وكنت قد زرتها قبل هذه المرة ، جنة أنيقة زاهية ، نسقت فيها مغارس الزهر ، وخمائل النبت واصص الورد تنسيقاً يبعث البهجة فى النفس ، يقوم وسطها قصر جميل يطل على النيل ، ويقابل المقطم مدلاً عليه بما أوتيه من جمال وجلال ، وروعة اخاذة بالالباب ، مستفزة للمشاعر ، ذلك لانه مقام الشاعر ومبيت جسمه ، ومهبط وحيه وخياله ، ومرتع شاعريته وتأمله ، ومجتمع أمانيه وآماله ، فله ذلك مادام كذلك . .

دخلنا القصر فاستقبلنا سكرتير الشاعر ، فجلسنا فى الشرفة الامامية منه ننتظر قدوم شوقى ، ونتأمل محاسن الطبيعة أمامنا ، هذه مدينة القاهرة تجاه أبصارنا ، كم من خواطر تاريخية تمر على البال فى تلك الساعة ، ان الانسان بهذا ليستعرض تاريخ مصر وما توالى عليها من حوادث وفتن وانقلابات وأحوال ، تتزاحم كلها فى ذاكرة النا اذاظر ما أمعن فى نظره ، ورجع الى الماضى البعيد ، أجل ! تستثير كل تلك الذكريات مبان عالية مختلفة ، ومنائر ضاربة فى الفضاء ، وقبب منتثرة هنا وهناك مختلفة فى الاعمار ، تنطق بالعبر ، وتشهد على أن الزمان دول . وكان على جانبى السلم الرخامى تمثالان قائمان يحمل كل منهما شبه مصباح فى يديه . فسألنى صاحبى عن تعليل لطيف لذلك ، فقلت ان هذا أصدق تخيل يطابق (ديوجيني) وقد حمل سراجاً يدور به فى شوارع (اثينا) ليفتش عن الرجل فى الليل والنهار ، وفى الاخير بعد تجوال طويل عثر على امرأة خبرها فوجد فيها المثل الأعلى للانسان الذى يبتغيه فقال (لقد بحثت عن الرجل بكل مكان فلم أجده ، ولكنى وجدت المرأة) وما أشبه هذا التمثال الصامت الناطق القائم فى مدخل الدار حاملاً بيده مصباح الحكمة والهداية بديوجينى ، وكأنه هنا وقف للغادين والرائحين يقول (ها قد وجدت ضالتى المنشودة بعد عصور طويلة ، لقد وجدت الرجل ، لقد عرفت الرجل ، هيا ادخل تر الرجل) .

وأقبل الينا شوقى بعد فترة عاجلة من الزمن متهللا ، فتقدمنا اليه مسلمين ، فرحب بمقدمنا غاية الترحيب . وانتبذنا جانباً من شرفة القصر ريثما يتم اجتماع الآخرين ، وكان الشاعر فى هذه المرة التى لقيته فيها خيراً منه فى النشاط ودلائل القوة فى كل مرة رأيته قبلها ، فقد هادنته العلل فى ذلك الحين ، وناهض المرض وصاوله حتى تغلب عليه اذ ذاك ، ولكن من كان يدرى أن «شوقى» سيخر صريعاً فى الميدان بعد أشهر قليلة من ذلك الانتصار . وان تلك العلل انما كمنت لتتجمع للوثوب ، واختفت متراجعة لتظهر على حين غفلة ، وهادنت خداعاً ، والحرب خدعة ، من كان يدرى ذلك ومن المصدق بهذا المنقلب العاجل ؟ . . لقد كان شوقى فى تلك الساعة قرير النفس ، رخى البال ، طافح البشر ، وكان صورة من الطبيعة الباسمة فى ذلك اليوم ، وهكذا يكون الشاعر هو والطبيعة صنوان لا يفترقان . . تنظر اليه فتقرأ فى جبينه المتغضن خطرات السنين المتعاقبة ، واصداء الزمن الماضى بما فيه من حوادث وشئون ، كان لسانها الناطق وحافظها للأجيال المقبلة من الاندثار ، فاذا أمعنت فى سطور ذلك المحيا داخلت نفسك هزة وانتفاضة هى هزة الاجلال والمهابة ، حيث ترى ذلك العقل الجبار من وراء ذلك المحيا ، وذلك الذهن المتقد يشع نوراً وحكمة ، وذلك الخيال المطلق أعني به خيال الشاعر أو روح الطبيعة الثانى ، ذلك الذى يهيم فى كل واد ، ويسبح فى كل لجة ، فيحلق مع الطيور فى سمائها ليساجلها أنغامها ، ويعانق الطبيعة فى خمائلها ويتغنى بجمالهـا ، وقد تراه فتبصر فيه خفة السرور وتقرأ عليه نضرة

النعيم ، وقد تراه فتجده بائساً لبؤس غيره . أنيس المحزون ، وعزاء الضعيف ، يشفق على المنكوبين وتذهب نفسه حسرات عليهم

وتقرأ فى عينيه الذابلتين اللتين أتعب أجفانهما السهد وتعاقب الزمن ، صفاء السريرة ، وعفة القلب ، وحدة الذكاء ، وهى خير مترجم عن قلب الشاعر ، ذلك القلب العامر بالفضيلة والخير . واذا استمعت الى حديثه العذب أسرتك طلاوته ، واجتذبتك حلاوته ، يبلغ الى فؤادك قبل سمعك فلا تمل منه لغة ، ولا تسأم فيه لهجة ، وشوقى اذا حدث تخير ماراق لسامعه ، ورقت حواشيه ، واتى بكل طريف قشيب ، تسهله طرافة فى التعبير ، وتختتمه دعابة أو عبرة فى الحديث تقتضيها الحال ويستدعيها المقال ، وكان الحديث جامعاً وكان اقبالنا عليه بالغاً ، تناولنا شئوناً مختلفة فى أحوال (العراق) والادب العربى فى هذا العصر وبعض مشهورى الشعراء والكتاب ، وقضينا فى هذا حيناً حتى قدم علينا الاستاذ محمد عبد الوهاب ، وكان حديث القدوم من العراق ثم اكتمل العقد ، وانتظم الجمع فنهضنا الى داخل الدار حيث مائدة الطعام .

ولا تسل عما كان يدور حينذاك من مفاكهات عفة . وملح آبدة ، ونوادر طريفة ، ساقها فرسان مشهورون فى مصر فى هذا المضمار ، مصلون به ، والفكاهة والظرف والتندر من الغرائز التى طبع عليها المصرى ، وهى من خصائص دمه لا تفارقه ، والذى يزيد فيها قوة وحسن وقع فى النفس أنها تمرق من اللسان عفواً وتنطلق من غير تكلف وتعمل . . تزجيها الطبيعة ، ويقذف بها الظرف الملائم ، ولسرعة البديهة وحدة الخاطر أثر لا ينكر فى سوقها . .

انتهى محفل الغداء فجلسنا بعده برهة قصيرة حتى اقترب موعد سفرنا من مصر فى ذلك اليوم ، فتنازعنا عاملان : عامل البقاء والاستمتاع بهذه الاحاديث الطلية ، وعامل الجلاء الى حيث ينتظرنا القطار الذاهب الى فلسطين ، وفراق مصر على مضض ، فتغلب العامل الثانى واذا نحن فى قطار المساء يزفر زفرة الوداع ، واذا بنا نودع من عز علينا وداعهم . واذا بنا نستعرض صفحات وذكريات ماضية واذا بنا نفارق أرض مصر وندخل فى أرض الميعاد . . .

بغداد **كمال ابراهيم**

اختـــلاف المزاج
وأثره في الأفراد والأمم
وفي السياسة العامة

اذا راجعت معظم أسباب حوادث الطلاق التي تنشرها الصحف الانكليزية،وجدت أن في مقدمتها اختلاف المزاج،وهو ما يعبرون عنه بقولهم (incopatibility of temperament) ، ولا نفهم تماماً كيف يؤدي اختلاف مزاج الزوجين الى تنغيص عيشتهما حتى يطلبا الخلاص منه بالافتراق .

نريد أن نقول : هل اذا كان الزوجان من أهل المزاج العصبي يكونان أقرب الى الاختصام مما لو كان الواحد عصبياً حامياً والآخر بلغمياً بارداً ؟

قد يخيل إليك لأول وهلة أن الأمر كذلك ، أي أن العصبي سريع الانفعال اذا لقي عصبياً مثله تطاحنا وتقاتلا حتى يغلب أحدهما الآخر . ويبقى ذلك ديدنهما حتى يفرق بينهما تفريقاً لا اجتماع بعده .

ولكن العكس صحيح أيضاً . أي أن العصبي — وحدته ونزقه معروفان — لايطيق أن يرى أمامه بلغمياً بارد الطبع ، لأن الأول شعاره السرعة والثاني البطء ، فيؤدي اختلافهما هذا الى تخاصمهما بشدة لا تقل عن شدة تخاصم الأولين .

وصحيح كذلك أن العصبي حاد المزاج يطلب تنفيذ إرادته بلا تهاون ، فاذا لقي أمامه صفراوياً أو بلغمياً بطيء الانفعال والتأثر فالغالب أنهما لا يعارضانه فيتم له ما يريد بلا خلاف ولا احتكاك ولا قتال

ويظهر أن هذا الحكم الأخير هو الرائج في السياسة ، فقد تبدلت محالفات الأمم المختلفة المزاج وتغيرت ، وبقيت محالفات الأمم المتشابهة الأمزجة . فمن القبيل الأول محالفات أوربا في القرن الماضي كالمحالفة الثلاثية بين ألمانيا والنمسا وإيطاليا ، والمحالفة الثنائية بين فرنسا وروسيا . فقد زالت هاتان المحالفتان ولم يبق لهما أثر .

ومن القبيل الثاني تحالف بلدان ألمانيا وتحالف ولايات أميركا . وهما تحالفان يبقيان على الدهر لأن « الدم أكثف من الماء » كما يقول المثل الانكليزي . وعلى هذه النظرية يقدرون تحالف الأمتين الانجلوسكسونيتين في مستقبل الزمان — أريد بهما أميركا وبريطانيا .

وقد وجد الانكليز والفرنسويون بالاختبار الطويل أن كل سعي في التقريب بين الأمتين نجح حتى حين ، ثم لم يلبث ان فشل لأن مزاج الأولين الصفراوي مضاد لمزاج الأخيرين العصبي . ومن ذلك كانت سلسلة حروبهما الطويلة التي بلغت أقصاها في عهد نابليون ، ثم انتهت حروب نابليون ولم ينته عداؤهما . وقد تمكن الملك ادورد السابع بكياسته وحسن سياسته من عقد الاتفاق الودادي بينهما ، وظهر أن هذا الوداد ازداد توثقاً بتحالف الأمتين في الحرب العالمية وانضمام أميركا إليها بعد ما تلكأت نحو ثلاث سنوات عنها . ثم لما انتهت الحرب اذا هما حيث كانتا في تاريخهما الطويل — أمتان دأبتا النفار اذا اصطلحتا اليوم فلتختصما غداً .

وهذا شأن الفرنسويين مع أميركا ، ولكن بعد الشقة بينهما وقلة تصادم المصالح حالا دون بروز وجوه الخلاف . وحالت « مديونية » فرنسا لأميركا دون إبداء مزاجها العصبي ، وكانت خير شكيمة لتمادي جماحها على رجاء ان حسن سلوكها وكظم مزاجها العصبي واحلال المحاسنة محل المخاشنة — تؤدي كلها الى تجاوز أميركا عن ما لها من الدين على فرنسا .

ولكن الأميركيين متصلبون في عزمهم على ما يظهر تصلب شيلوك في اقتضاء رطل اللحم من غريمه مما حمل فرنسا على التظاهر بشيء من الخلق العصبي الذي طالما أخفته المحاسنة والملاينة والمجاملة . فلما احتفلوا بعيد لافاييت في الأسبوع الماضي أوعزوا الى وزير حربيتهم المارشال بتان العسكري العبقري أن يخطب نخطب عاتباً ، والعتاب أول درجات الخناق .

ذكر في خطبته مقاتلة الجنود الفرنسوية تحت لواء وشنطن دفاعاً عن استقلال أميركا وما كان من الود القديم بينهما ثم نعاه فقال ان الأمتين ليستا من الود الآن على ما كانتا في قديم الزمان

ولكن هذا الغضب المقنع بقناع العتاب اللطيف والغمز الظريف ، لابد أن يكون صاحبه قد ندم عليه بعد ما وردت أنباء أميركا بأن الأميركيين لم ينسوا جميل لافاييت، بل قاموا قومة رجل واحد يعقدون الاحتفالات في جميع أرجاء فرنسا ، ويدعو مجلس

فى المحكمة الصلحية

بكفيا — لبنان

للأستاذ حسن عبد الجواد

بكفيا بلد من بلاد لبنان يعلو ٩٥٠ متراً عن سطح البحر ويبعد ٢١ كيلو متراً عن بيروت . وعلى مقربة من هذا البلد تقع ضهور الشوير التى احتفلت بلديتها فى الصيف الماضي بافتتاح شارع الأمير فاروق فيها بحضور كبار المصطافين المصريين .

وفى بكفيا محكمة صلحية « جزئية » يرأسها قاض على جانب كبير من الثقافة اسمه الأستاذ ناصر رعد .

والمحكمة الصلحية هى هى الجزئية . وهناك محاكم ابتدائية واستئنافية . ولديهم محكمة التميز « النقض والابرام » .

وسراى محكمة بكفيا الصلحية بها غرفة للقاضى وقاعة للجلسة وغرفة لكتاب المحكمة « قلم كتاب » وغرفة لمأمور الأجراء « المحضر القائم بالتنفيذ » . — ومأمور الأجراء فى تلك البلاد يتقاضى فوق مرتبه نسبة معينة على المبالغ التى يحصلها لأصحاب القضايا .

وكاتب التصديقات هناك يعمل لحسابه الخاص ويسمى « كاتب عدل » وله محل خاص أسفل سراي المحكمة يدفع هو أجرته الشهرية .

انعقدت الجلسة فى الساعة التاسعة صباحاً ورأسها القاضى مرتديا الروب ؛ وجلس على اليمين كاتب الجلسة مرتديا الروب ؛ وجلس المحامون بمقعدهم الأمامى يرتدى كل منهم الروب .

ووضعت القضايا على المنصة ، أمام القاضى ، وكل قضية فى مظروف مختوم .

نادى حضرة القاضى « فتحت الجلسة علنا » وفتح مظروف القضية الأولى بين سكون شامل — فاذا ما نظر القضية فتح مظروف الثانية وقال نفس العبارة « فتحت الجلسة علنا » وهكذا فى كل قضية .

ولقد أعجبنا كثيراً كثرة التجاء المحكمة الى تعيين محكمين ، بعد اتفاق الخصوم والتوقيع على محضر الجلسة بقبول التحكيم . وكثيراً ما انتهت القضايا صلحاً أمام المحكمة ، وقد رأيناها تعرض الصلح على طرفى النزاع فى كل قضية . وهذا طبيعى لأن المحكمة صلحية . وأول ما يجب على القاضى الجزئى عرض الصلح على المتخاصمين .

وقد لاحظنا أن القاضى قد درس القضايا جيداً قبل افتتاح الجلسة اذ أخذ يناقش الخصوم فى كل صغيرة وكبيرة — وقد تأكدنا أن القائم بتبليغ القضايا « بالاعلان » قد استجوب المدعى عليه كتابة على عريضة الدعوى . وفى ذلك تسهيل كبير لمهمة القاضى ، وحصر للمرافعة فى نقطة الخلاف فقط . وفى ذلك توفير كبير للوقت .

وقد رأينا القاضى يملى الكاتب أقوال طرفى النزاع بلغة عربية فصحى ، ثم يطلب اليه قراءة ما كتب للتأكد من صحته

وكان يسأل القاضى الشاهد عن اسمه وصناعته وعمره ، وعما اذا كان متزوجاً أو أعزب — وان كان متزوجاً سأله عما اذا كان له أولاد . وقد سألنا عن السر فى هذه الأسئلة الخاصة بزواجه وبأولاده فقيل « لمراعاة ذلك عند تقدير العقوبة على شاهد الزور »

وقد كان القاضى ظريفاً حقا ، وعلى جانب كبير من الأدب ، فوق دقته وذكائه . وسمعناه يقول للشاهد عند الانصراف : « مع السلامة » .

وقد حكمت المحكمة فى القضايا الكيدية بمبلغ من النقود « نظير العطل والضرر » كذا ، وفى ذلك القضاء حقاً على القضايا الكيدية .

وفى القضايا التى تعين المحكمة فيها خبيراً ، تستدعيه وتحدد له مهمته ، والساعة واليوم الواجب تقديم التقرير فيهما

أمتهم سفير فرنسا الى احتفال عظيم فى وشنطن يكون السفير ضيف الحكومة فيه ، ورئيس الجمهورية خطيب الحفلة يخطب فيها خطبة مؤثرة ، ويذكر مآثر فرنسا فى شخص لافاييت .

ولكن ذلك لا ينقع غلة ولا يشفى علة ، ما دامت أميركا تطالب برطل اللحم غير منقوص ، هذا كله يجىء مصدقاً للقول ان اختلاف الأمزجة هو بيت الداء بين الأمتين كما هو بيت الداء بين الزوجين .

م . س

والتوكيلات يطلع عليها القاضى ويُملى رقمها للكاتب ويردها لأصحابها .

ونظام الاكراه البدنى متبع فى تلك البلاد لتحصيل الديون المدنية المحكوم بها بعد الاستشهاد بشاهدين على أن المدين قادر على الدفع . ويشترط ألا يكون للمدين عقار حتى يُكرَه على الدفع بالطريقة المذكورة ؛ لأنه فى حالة تملكه عقاراً يمكن اتخاذ اجراءات نزع الملكية بدلاً من الاكراه البدنى . والمحكمة تقضى بحبس المدين ٩١ يوماً مع استمرار حق الدائن فى التنفيذ مدنياً . ومن أجل هذا قلت دعاوى الاسترداد ، وقلت الدعاوى الكيدية المقصود منها عرقلة التنفيذ ، وتأجيل إيصال الحقوق الى أربابها .

والمحكمة تنعقد مراراً فى الأسبوع لنظر قضايا الحقوق المدنية أو لنظر الجنح والمخالفات « محكمة جزاء » .

والمحكمة تشدد العقوبة على سائقى السيارات المقدمين بتهمة الاسراع فتقضى بالحبس لغاية ٦ شهور — والاسراع عصر مخالفة لا يزيد الحبس فيها على أسبوع حبساً بسيطا — ولعل السبب فى ذلك سوء العاقبة عند الاسراع نظراً لارتفاع الجبال وعمق الوديان .

وعند انعقاد الجلسة — جلسة الجزاء — يقف بعض رجال البوليس « الجندرمة » للمحافظة على النظام . وعسكرى البوليس هناك مثقف ، ويتقاضى مرتباً حسنا ، « حوالى تسعة جنيهات مصرية » . وقد شاهدنا رجال الجندرمة يعاينون أدوات السيارة للتأكد من سلامتها قبل صعود الجبل ، فاذا ماوجدوا تلفاً فى أى جزء من أجزاء السيارة قدموا السائقين للمحاكمة . وكل هذا محافظة على أرواح الناس الذين تقلهم السيارات فى طول البلاد وعرضها .

ولقد صادفنا عسكرىٌ برحلة يحمل شهادة التجارة المتوسطة المصرية ؛ وفى هذا الدليل على ما عليه رجال البوليس هناك من ثقافة ومعرفة .

تلك نظرة سطحية فى نظام التقاضى بتلك البلاد الشقيقة ؛ وهو فى مجموعه نظام طيب . وفقنا الله جميعاً لخدمة العدالة ونصرة الحق ، والأخذ بيد المظلوم ؟

حسين عبد الجواد
المحامى

٧ – بين المعرى ودانتى

فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

بقلم محمود احمد النشوى

الوطنية لدى الشاعرين

ذكرنا فى العدد الماضى حديث الوطنية لدى أبى العلاء ، ورأينا حنينه للمعرة وللشآم ، وحبه لوطنه الذى ألقى رداءه على كل ما حوله حتى على نياقه التى تمنت قويقاً والصراة حيالها ؛ والتى تلت زبور الوطنية المنزّل عليها فيه أن الصبر عن الوطن غير حلال ، ونريد الآن أن نتعرف الوطنية لدى شاعر الطليان ، تلك التى نكاد نلمسها فى كل ناحية من نواحى كوميديته . وكأنى به يخلق المناسبات، ويتعمد الاستطراد ليتحدث عن إيطاليا وآلامها وأوصابها فى عهده ، وليتحدث عن خائنى أوطانهم وبلادهم كذلك .

ولعلك على ذكر مما حدثتك به إبان استعراض طبقات الجحيم لديه عن الدرك التاسع الذى جعله مقراً لخائنى أوطانهم ، يشاركهم فى تلك الطبقة إبليس ويهوذا الأسخريوطى . . أوليس فى تسويته (وهو غرس الكنيسة) بين خائنى الوطن وخائن المسيح وإبليس اللعين مايجعلنا نكبر فيه وطنيته ، ونعلم أى حد بلغه فى حب بلاده ؟

وسأستعرض شيئاً من نواحى الوطنية فى كوميديته ، تلك التى نتلمس الوطنية الملتهبة فى كل ناحية من نواحيها ، حتى لنظن أن الوطنية كانت أكبر الأسباب التى دعته أن يدبج رسالته . فكم تلمس دانتى الأسباب والمناسبات ليبكى مجد إيطاليا وحروبها الأهلية التى كانت تمزق أوصالها ، وتفرق بين أبنائها . . فها نحن أولاء نراه يسير فى الطبقة الثالثة من السعير ، فلا تكاد تقع عينه على أحد مواطنيه (تشاكو) حتى يميل نحوه ويحدثه عن الوطن وعما أحاط به من ويلات ومصائب . وتشاكو بدوره ينسى الجحيم والعذاب ، وينساق مع دانتى فى حديثه ، فيذكر له النزاع والفشل بين أحزاب فلورنسا .

وبينا هو يجوس خلال الطبقة السادسة من السعير ، وبعد أن خلص من مدينة (ديتى) وشياطينها اذا هو أمام مواطن آخر

اسمه (فاريناتا Farinata) ، فيكرر على سمعه الحديث عن فلورنسا وأحزابها وحروبها حديثاً يخفق له قلبه ، ويضطرب له جنانه .

وفى (المطهر) بين النار والجنة يذكر أوجو كابيتو ونعيه على كارلو دى ڤالو الذى دخل فلورنسا وشرد أبناءها وأهلها .. ثم يرى فى فراديس الجنان أمبراطور الدولة الرومانية الشرقية (جوستنيان Justiniano) ، فيوازن الامبراطور بين قديم روما وحاضرها ، وبين وفاقها فى عهدها الأول وانحلال عراها ، وتنازع أهلها وفشلهم فى عصرها الحديث ، ناعياً على معاصرى دانتى تفكيرهم فى مصالح أشخاصهم ، وتركهم الوطن تعصف به رياح القلاقل والاضطرابات .

وكذلك يرى جده كاتشاجويدا ينعم فى الطبقة الخامسة من طبقات الفردوس ، فيحدثه هو الآخر عن الأحزاب والخصومات ، والحروب والويلات ، موازناً أيضاً بين عهده الملىء بالمحبة والسلام ، وعصر دانتى المترع بالنزاع والخصام . .

ذلك شىء من حواره الوطنى الذى كان يهتبل الفرص فيذكره فى ثنايا رسالته ، وفى تضاعيف خياله .

فأما العذاب الذى تخيله ينصب من فوق رءوس هؤلاء الخائنين ، فحسبك أن تعيره سمعك إذ يحدثك عنهم وهم فى الدرك التاسع من السعير زُرق الوجوه ، مائلى الرءوس ، غارقين فى بركة من الثلج فسيحة الأرجاء ، سار على صفحتها فارتطمت قدمه بأحد الوجوه المشوهة ، فتبين صاحبه فاذا هو (بوكا Bocca) خائن الوطن ، وقاتل من كان يحمل العلم الفلورنسى غيلة ، فتفرق جندها ، وحقت على جيشها الهزيمة ، كما حقت على خائنى الوطن كلمة العذاب .

وحسبك أن ترهف أذنيك لحديثه عن الكونت أوجولينو ugolino الذى ألقت اليه مدينة بيزا مقاليدها ، وخضعت لسلطانه ، فأسلمها وأسلم قلاعها وحصونها لأعداء البلاد . بيد أن قومه ظفروا به فاستفتوا فى أمره المطران روجيرو Roggero فاشتط المطران فى فتواه ، وأسرف فى حكمه ، وما كان جوابه إلا أن قال : ألقوه مع أطفاله وأبناء أخيه الصغار فى غيابة برج من الأبراج حتى يموتوا صبراً جوعاً وعطشاً . فحبسوه وذريته الأبرياء الضعفاء فى برج ألقوا بمفتاحه فى النهر حتى ماتوا جميعاً ؛ فكان عاقبتهما : الكونت والمطران ، أنهما فى النار خالدين فيها ، ينهش كل منهما رأس صاحبه

ثم اختتم دانتى جحيمه بالحديث عن بروتس Brutos وعن كاسيوس Cassios قاتلى يوليوس قيصر خيانة وغدرا ، ولم يرعيا عطفه عليهما ، ولا إحسانه العظيم لبلاده . وهنا أطلق لخياله العنان وافتن فى وصف العذاب لهذا الثالوث غير المقدس بروتس وكاسيوس ويهوذا ، فتخيل وحشاً ذا ثلاثة وجوه متعددة الألوان ، تبرز تحت تلك الوجوه أجنحة تفرع أشرعة السفائن طولاً وعرضا ، وهى تهتز فترسل ريحاً باردة على الجحيم وعلى من فيها . ربما هى السبب فيما يلقونه من الزمهرير . لذلك الوحش ست عيون وثلاثة أفواه ، يسحق أحدها بروتس ، والآخر كاسيوس ، وثالثها يهوذا ، وهى دائبة على تمزيق أجسامهم ؛ وكلما تقطعت أشلاؤهم عادت سيرتها الأولى ، وعاد لها تمزيق أوصالها وسحقها . . .

وكم كان طريفاً حقاً إذ تكلم فى المطهر عن امرأة تدعى سابيا Sapia ، وهى تتطهر من ذنوبها وآثامها ؛ وما ذنبها إلا أنها فرحت واستبشرت إذ رأت قومها منهزمين ، ولولا أن القدر أسعفها فأدركها المتاب قبل أن توارى فى التراب ، لكانت حصب جهنم وطعاماً للسعير .

يتبع **محمود احمد الغشوى**

٢ ـ أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

سلطان باشا

هو محمد باشا بن سلطان بن احمد ، من قرية بالصعيد تسمى زاوية الأموات ، بالجانب الشرقي من النيل ، تجاه منية ابن الخصيب . ولد بها سنة ١٢٤٠ أو إحدى وأربعين . وزرباه أبوه فسلمه لمعلم للقرآن بالقرية علمه القراءة والكتابة ، وحفظه ما تيسر من القرآن الشريف . ولما بلغ أشده تركه أبوه ينظر في أمور القرية المذكورة ، الى أن نقل حسن باشا الشريعي من نظارة قسم قلوصنا ، في ولاية محمد سعيد باشا على مصر ، فسأله الوالي عمن يقيمه بدله على القسم المذكور فذكر له المترجم ، وأثنى عليه ، وضمن كفايته ، فأقيم ناظراً لهذا القسم مدة ثلاث سنوات . ثم جعله سعيد باشا وكيلاً لمديرية بني سويف ، وبعد سنتين جعله مديراً لها ، فبقى فيها الى أن توفي سعيد باشا ، وتولى ابن أخيه اسماعيل باشا ، فنقل المترجم مديراً للغربية فمكث بها نحو سنة ، ثم أمر بنقله مديراً لأسيوط فأقام بها نحو سنتين ، ثم جعله وكيلا لادارة تفتيش الوجه القبلي ثم أحال عليه النظر في ضياعه التي بالصعيد المسماة بالجفالك ، ثم جعله مفتشاً على مديريات الوجه القبلي ، وانحرف عنه في أثناء ذلك عكوش باشا ، وشاهين باشا ، وعظمت الوحشة بينه وبينهما فوجد حاسدوه فرصة للايقاع به ، نظراً لمكانة الرجلين عند الخديو فسعوا به عنده ، ووشوا له بأمور عنه كان يكرهها .

صداقته لتوفيق باشا

فغضب عليه وأمر بسفره الى السودان رئيساً لمجلس الخرطوم وهو في الحقيقة نفي على جاري عادة ولاة مصر ، اذا غضبوا على أحد نفوه الى السودان في صورة تنصيبه بأحد المناصب . فصدع المترجم بالأمر وسافر ، ولكنه لما وصل بني سويف وصله أمر الخديو بالرجوع بسبب تداخل ولي العهد محمد توفيق باشا وسعيه بالشفاعة له لدى والده لأنه كان يحبه . فرجع من الطريق وقصد قريته زاوية الأموات فمكث بها عدة شهور ، ثم أذن له بالاقامة في القاهرة فأقام بها في داره المعروفة بجهة الاسماعيلية مدة الى أن جعله الخديو اسماعيل باشا مديراً للفيوم ، ولكنه عاد فألغى هذا الأمر قبل سفره . وبعد نحو سنة رجع بأمر الخديو المذكور الى بعض المناصب التي كان بها بالوجه القبلي . وخُلع الخديو وتولى بعده ولده محمد توفيق باشا ، وقامت الثورة العرابية وطالب العرابيون الخديو باعادة مجلس النواب ، وكان أهمل شأنه بعد توليته فأجابهم لذلك وألف مجلس النواب ، فجعل المترجم رئيساً له لما يعلمه من إخلاصه ومحبته له ؛ ثم وقعت بينه وبين العرابيين وأمراء الجند منازعات وخلاف في بعض الأمور ظهر لهم منها ميله للخديو فأبغضوه ونووا له السوء .

عرابي يهدده بالقتل

وقام عليه مرة عرابي وبعض الضباط في داره ، فهددوه بالقتل ، وجردوا سيوفهم في وجهه ، وكاد يقع في أيديهم ، لولا انهم تراجعوا عنه من تلقاء أنفسهم ، واشتد قلقه بعد هذه الحادثة ورأى حياته معهم على خطر ، فاحتاط لنفسه ، وصار اذا جلس بداره وضع بجانبه مسدساً محشواً ليدافع به عن نفسه اذا فوجئ ، ولم يغن تهديدهم له شيئاً ، ولم يجد في تحويله عن الخديو ، بل استمر على اخلاصه ، والقيام بمساعدته ، والأخذ بناصره . ثم اشتدت الفتنة ، وسافر الخديو الى الاسكندرية ، فصحبه المترجم ملازماً خدمته ، واستدعاه هناك درويش باشا مندوب السلطان في شعبان سنة ١٢٩٩ ، وأنبأه بانعام السلطان عليه برتبة روملي بيكلربكي ، وأعطاه تقليدها بيده .

مع الانجليز

ثم قامت الحرب على ساق ، بين الانكليز والعرابيين ، فندبه الخديو لمساعدة الانكليز ، وارشادهم الى الطرق ، فبذل ما في وسعه وكاتب بعض مشايخ العرب والعمد ، ومن لهم شأن ، يمنيهم بالخلع والرتب والأوسمة ، على أن يبذلوا الطاعة للخديو والانكليز وينبذوا طاعة العرابيين ، فنجح في مسعاه ووافقه الكثيرون ، فانضموا للخديو وشيعته سراً ، ووقع الفشل في زمرة العرابيين ،

وانهزمت جموعهم ، واستولى الانكليز على مصر ودخلوا القاهرة يوم الخميس مستهل ذى القعدة سنة ١٢٩٩ ، فأرسله الخديو اليها نائباً عنـه ، وأطلق يده فى التصرف فى الأعمال ، فوصلها فى ٢ ذى القعدة ليلاً من طريق بور سعيد ، واستبد بالأمور أربعة أيام حتى حضر النظار اليها ، وباشروا أعمالهم . وقد تاه المترجم وتجبر فى هذه الأيام الأربعة ، وأمر بالقبض على كثيرين ممن كان له بغية فى القبض عليهم وإذلالهم ، ومنهم حسين باشا الشريعى ، فانه أوغر صدر الخديو عليه ، وأشار بسجنه ، ونسى له سابق فضله عليه ، وذلك لخلف وقع بينهما إبان قيام الفتنة .

بعد الثورة العرابية

ولما حضر الخديو من الاسكندرية عقب إطفاء الثورة وذهب الناس لتهنئته بقصر الجزيرة يوم الثلاثاء ١٣ ذى القعدة المذكور أثنى أمامهم على المترجم ثناء كثيراً وقال هذا هو الرجل الذى أخلص لنا فى السر والعلانية ، وأنعم عليه بالوسام المجيدى الأول ، وأمر باحضاره فوضعه على صدره بيـده أمامهم ، ثم سعى له عند النظار للانعام عليه بعشرة آلاف دينار مصرى مكافأة على خدمته ومسعاه ، فأعطيت له من ديوان المالية . وكافأه الانجليز بوسام (سان جورج ، وسان ميشيل) من الدرجة الأولى لمساعدته لجندهم إبان الحرب ، وذهب به السير مالت قنصلهم الكبير الى داره وسلمه له يوم الثلاثاء ١٧ محرم سـنة ١٣٠٠ هـ ، وقال له إن من شروط هذا الوسام أن تضعه مولاتنا الملكة بيدها على صدر من تنعم عليه به ، وقد أتيت اليكم نائباً عنها فى وضعه على صدركم جزاء إخلاصكم وولائكم لجلالتها ولحضرة الخديو . ثم فى جمادى الأولى من هذه السنة أنعموا عليه أيضاً بالمدالية الانجليزية المضروبة بخصوص الحرب العرابية .

وبقى المترجم بعد ذلك فى داره بالقاهرة بلا عمل ، ملقباً بلقب رئيس مجلس النواب ، ثم انتدب للاشراف على شواطئ النيل وجروفه بالوجه القبلى لما زاد فى الفيضان ، فصدع بالأمر على كره منـه ، ورأى ذلك حطاً من مقامه ، واستقل العشرة الآلاف والوسامين على ما قام به للخديو والانكليز ، وانعكست آماله التى كانت ترمى الى تنصيبه فى منصب كبير ، وفترت نفسه ، وكثرت همومه ، وانحرف عن الانكليز ، وطفق يذمهم بعد أن كان لهجاً بمدحهم والثناء عليهم فى كل مجلس يجلسه ، واعتزل الناس بجمل اقامته بالصعيد ، ولما ذهب اللورد دوفرين الى تلك الجهة زاره المترجم فلم يلق منه ما كان يؤمله من حسن المقابلة ، وسأله فى عرض حديثه عن حضور أخوى الخديو حسين باشا وحسن باشا من أوربة ، فقال له نعم حضرا ، فقال ولمَ حضرا ، فأعرض عنه اللورد ولم يجبه ، ونقل حديثه مع غيره ، فقام المترجم من المجلس كاظماً غيظه ، وزاد فى ذمه فى الانكليز ، وأثرت هذه الأحوال فيه فاعتلت صحته .

رئاسة مجلس الشورى

ثم صدر الأمر العالى يوم الأربعاء ٢١ محرم سنة ١٣٠١ بجعله رئيساً لمجلس شورى القوانين الذى ألف حينذاك ، بدلاً من مجلس النواب ، حسب اشارة اللورد دوفرين فى تقريره عن مصر ، فتولى هذا المنصب وهو عليل ، ثم ازدادت علته ، فأشار عليـه الأطباء بالسفر الى أوربة للمعالجة ، حيث لم تفده معالجة أطباء مصر ، فسافر الى بلاد النمسة ، ونزل بنزل فى مدينة غراتس ، فوافاه أجله هناك صباح يوم الاثنين ٢٦ شوال سنة ١٣٠١ .

وفاته

ونعى الى الخديو فى ذلك اليوم بالبرق ، نعاه له قلينى باشا فهمى فأسف عليه أسفاً شديداً وجزع ، وأمر بنقل جثته الى القطر المصرى لتدفن فيـه ، وأقام له مأتماً من الخاصة الخديوية ، وناط بمحافظ القاهرة القيام به بالنيابة عنه . ووصلت جثة المترجم الى الاسكندرية يوم الاربعاء ٦ ذى القعدة من السنة المذكورة فأمر الخديو بتشييعها تشييعاً كبيراً بالاسكندرية ، فسارت فى طليعة الجنازة كتيبة من فرسان الشرطة ، ثم كتيبة من الجند الرجالة منكسى الأسلحة ، يتلوهم قرّاء الأحزاب والبردة ، ثم جميع كبار الموظفين بالاسكندرية ، فتلاميذ المدارس ، فجم غفير من الأعيان حتى أوصلوا النعش الى السكة الحديد ، فجعلوه فى قطار مخصوص سافر به من هناك الى منية ابن الخصيب ، ونقل منها الى الشاطئ الشرقى حيث دفن بمقبرة بلده . وخلف المترجم ثروة واسعة ، وولداً واحداً عمره نحو سنتين ، وثلاث بنات . وقد رثاه الشيخ على الليثى بقصيدة .

يقظة الشرق

للآنسة فلك طرزى

. . . فى ليلة من الليالى الشديدة القر، الغائبـة النجم، القاتمة السواد، الشديدة الحلوكة، قام طيف يخترق وحشة الليل، يسير بخطوات هادئة يتحسس طريقه على الأرض الحزون، يضرب فيها أخماساً لأسداس، ممسكاً بيده قيثارة قدّ أوتارها من نياط قلبه، وأنامله تلاعب هذه الأوتار بعزف يكشف رويداً غشاوة ما كان راكداً فى أعماق النفس، وراسباً فى قرارة القلب، من ذكرى الماضى الحافل التى طواها الزمن، وكان يشدو معها بالغناء بصوت رقيق حنون، تسبح موجاته مع تموجات الأثير تهدهدها طياته، وينقلها الهواء من شاطئ الى شاطئ، ومن ضفة الى ضفة، حتى ملأ أجواء الشرق بنغماته، وعبقت منـه رائحة الأبدية وعبير الأزل . .

أخذ الصوت يقول : تعالى أى قيثارتى نرتل لحناً نعيد به المجد البالى ! تعالى نغرد أناشيد الصباح لعل الفجر يبدد الدجى ! تعالى تتغنى بألحان السحر فتتحول الأرض القاحلة الى حقول معشبة، والسهل الأجرد الى سهول نضبة ! تعالى يا قيثارتى نوقظ النهار من غفلته والنفوس من نومها العميق ! تعالى نرسل أنغامنا فى سمع الدجى فتتحول السماء السوداء الى قبة تسطع فيها النجوم وتتلألأ فيها الكواكب .

ظل هذا الصوت يشدو، وهذه القيثارة تجيب، حتى تمزقت حواشى الليل، وآذنت ساعاته بالفناء، واذا بالفجر يبدو مشرقاً وضاحاً، واذا بواكير الصباح تكشف عن نهار مشرق ضاح جميل، وما لبثت السماء حتى تقشعت عنها الغيوم وتبدد عنها السحاب، فبدت بلونها اللازوردى الجميل، وتربعت الشمس على عرشها، وأشرقت من أفقها ساطعة بنورها الوهاج على الجبال والأودية، وهى مشتعلة متأججة، وأخذت أشعتها تتفرق فى السهول وعادت الى الأرض حياتها، والى الزهر رونقه وبهاؤه، والى الزرع اخضراره وجماله .

فقالت الأزهار يخاطب بعضها بعضاً : انظرى يا أختاه الى هذا النور المنبثق من السماء ! انظرى ! ما هذا الضياء المشع ؟ أليس هو نور « اليقظة » يسطع من سماء شرقنا المحبوب ؟ وقالت الأشجار لبعضها : ألا تعلمين يا صديقتى ان أغصاننا كادت تتحول الى أعواد يابسة يعصف بها الشتاء، لولا تلك النغمة المقدسة التى أرسلتها اليقظة من سماء مصر فأعادت لنا أنفاسنا وحياتنا ! وقال الفجر يخاطب الليل : أنت أيها الحسود كدت أن تمحى خطوطى الزاهية الى الأبد، لولا «هذه الفتاة الحسناء» التى عادت فرسمتها برغم أنفك ! فيا لك من عدو ماكر وحسود خداع !

وقالت الأطيار بعد أن عادت تغرد فى الدوح : تعالوا نحلق فى الفضاء ونرفرف بأجنحتنا فالجو صاف، والنسيم عليل، والعبير يعبق فى جو الأفلاك ! وقالت الأنهار : تعالوا نرو الأرض من مائنا السلسبيل ونطفئ ظمأها من ينابيعنا العذبة، تعالوا ! تعالوا ! ان غديرنا ينبعث من خريره أناشيد ملؤها الغبطة والسرور !

عندئذ نظرت النفوس الى « يقظة الكون » وتأملت طلوع شمسها البهية، واشراق محيا الصباح الجميل فتنفست الصعداء وارتسمت على الوجوه ابتسامة سرور وانشراح وقالت : لك الحمد يارب ! أنت الذى نظرت الينا بعين الرحمة، مما أطلت علينا ليلك، وما طالت علينا حلوكة الظلام الدامس ! فها نحن أولاء نستيقظ من سباتنا العميق،

أدب

وكان للمترجم إلمام بالأدب وقرض الشعر، اشتهر عنه نظم النوع المسمى بالصعيد بالواو، وأخبرنى من أثق بقوله انه اطلع على قصيدة له فى مدح حسن باشا الشريعى رحمهما الله .

***

وحدثنى صديقنا على رفاعة باشا، ابن رفاعة بك الشهير قال : كانت بينى وبين المترجم وحشة ازدادت لما جعلت وكيلا للمعارف إبان الثورة العرابيـة، ثم عزلت من هذا المنصب بعيد الثورة، وقصدت السفر الى بلدتى طهطا، فلقيته بالقطار، فلما وقعت عينه على عينى نظر إلىّ نظر الشامت ثم قال : إيه يا على بك، لقد أجاد الشاعر فى قوله :

برغم شبيب فارق السيف كفه   وكانا على العلات يصطحبان

فقلت نعم أجاد، وأجود منه قول الآخر :

انى لأرفع عينى حين أرفعها   على كثير ولكن لا أرى أحدا

ودم الحياة يتدفق منا قوياً حاراً ، وثغورنا تبتسم لابتسام ثغر الأدب من بين شفتي هذه النهضة المباركة التي أنشأتها أقلام الأدباء ، ونظمت لحنها عقول الشعراء ، وخلدت مجدها عبقرية الفنانين ، فقامت عصبة الشباب تطالب بالحرية والمساواة ، ورفع راية الشرق ، تستنكر الذل والخضوع ، وتأبى الضيم وعار الاستسلام .

ها هما حافظ وشوقي قد طواهما الخلود بعد أن غردا أناشيد الحياة المتنوعة ، وخلفا ذكراهما تتناقلها الأجيال زكية الأرج ، ضواعة العبير ، وسجلا صحيفتيهما في عالم الخلود !

هاهي ذي «مصر» كما تخيلها مختار تقف بجانب أبي الهول توقظه من نومه الأبدي وغفلته العميقة ، لينقذها من هذه الأهوال التي جعلتها تئن تحت نيرها ! هاهي ذي «الرسالة» الغراء لما تبلغ سن الفطام شبت وترعرعت ، وغدت لسان النهضة الأدبية في العالم العربي قاطبة يقوم بها أسطع الكتاب اسماً ، وأوسعهم شهرة ، وأجلهم قدراً .

فاللهم اجعل هذه النهضة مباركة ميمونة الطالع على الشرق فيتحد أبناؤه ، وتتوحد كلمتهم ، وتأتلف قلوبهم ، وتخفق بأمنية واحدة هي « الحرية » ! وقرب لنا الساعة التي تتهلل وجوهنا فيها بالسعادة والغبطة ، وترسل أعيننا دموع الفرح والسرور ، فيمتلئ الجو من ندائنا ، ويرتفع علمنا المحبوب يشق أجواز الفضاء ، ونصيح من أعماق قلوبنا بصوت واحد « ليحي الشرق »

دمشق فلك طرزي

حقـــائق

لميشيل انجـلو

ترجمة عامر عبد الوهاب عامر

١ — يقول بنسن في كتابه (كلمات عن كورسيكا) لقد غرس حب الحرب في قلب نابليون منذ طفولته إذ أهدى إليه أحد أصدقائه الأحداث مدفعاً صغيراً من النحاس

٢ — بينما كانت جوزفين ذاهبة ذات يوم مع نابليون الى الأوبرا استوقفها الجنرال (راب) لحظة ليضع لها الشال على طريقة السيدات المصريات . وبهذه الحادثة التافهة نجا نابليون بحياته إذ انفجر اللغم الذي أرصد لاغتياله في تلك اللحظة وهكذا توقف مصير أوربا على تعديل وضع الشال .

٣ — إن المؤامرة التي دبرت في عهد الملك شارل الثاني والمعروفة باسم Rye- house Plot فشلت بسبب صغير . وذلك أن المنزل الذي أقام به الملك اشتعلت فيه النار فاضطر أن يرحل عن (نيوماركت) قبل الميعاد المعين بعدة ساعات وكان ذلك سبيلاً الى إفساد التدبيرات التي أعدها المتآمرون على جلالته

٤ — إن الحريق الكبير الذي شب في لندن عام ١٧٩٩ أحدثه خادم كان قد ألقى سهواً شرارة على تخشيبة كوخ . كذلك الحريق المروع الذي اندلع لهيبه في المدينة في عهد شارل الثاني يرجع الى حادثة من هذا القبيل في مخبز قريب من جسر لندن

٥ — إن طموح القائد الروماني ماريس وكل ما استتبعه من الشرور والآثام يرجع الى تلك النبوءة الخرقاء بأنه (سيصير قنصلاً سبع مرات)

٦ — هاجم الغاليون بزعامة برنوس روما عام ٣٩٠ ق . م ولكن برنوس امتنع عن اقتحام القلعة الرومانية على أثر سماعه نقنقة بعض الأوز المقدس الذي أهاجه سير المحاصرين الغاليين

٧ — إن اختراع الزجاج ينسب على العموم الى بعض التجار الفينيقيين الذين أوقدوا ناراً على ساحل البحر . ثم لاحظوا بعد انطفائها تحول الرمل الى زجاج

تاريخ الأدب

بقلم الأستاذ محمود محمود محمد

سلكت دراسة التاريخ فى العصر الحديث مسالك شتى ، وتشعبت فى فروع كثيرة ؛ فأصبحنا نرى الى جانب تاريخ السياسة تاريخاً للفلسفة ، وتاريخاً للعلوم ، وتاريخاً للاقتصاد ، وتاريخاً للأدب . وسنحاول فى هذه الكلمة أن نبين مدى ما يمسه تاريخ الأدب من مباحث .

١ — شخصية الكاتب

يعنى تاريخ الآداب بدراسة الآثار الأدبية من نثر ونظم . ولما كنا لا نستطيع أن نفهم الكتاب فهماً صادقاً دون أن نعرف مؤلفه ، أو نحلل القصيدة تحليلاً دقيقاً من غير أن نعرف ناظمها ، فقد أصبح لزاماً علينا أن نجعل الكتّاب والشعراء أنفسهم موضوعاً للدرس عند دراسة تاريخ الأدب ، ذلك لأنه يستحيل علينا أن نفصل الأثر عن المؤثر أو نفهم النتيجة دون السبب . وإننا حين نقرأ كتاباً من الكتب تبرز لنا شخصية المؤلف الذى صب أفكاره ومشاعره فى هذا الكتاب قوية واضحة ، بحيث لا نستطيع إنكارها .

وتشمل دراسة الأشخاص نشأتهم وتجاربهم وأخلاقهم الموروثة والمكتسبة ، ونزعاتهم وتاريخ حياتهم ، وغيرذلك من مكونات الشخصية . ولكن هناك ناحية أخرى يجب أن تنال من عنايتنا أكبر نصيب عند دراسة الأديب ، تلك هى السمة الظاهرة ، والطابع الخاص الذى يميز البعض عن البعض، ويرفع كاتباً فوق الآخر . ذلك لأن العبقرية معنى واسع تشمل أطرافاً متباعدة ، ولكنها فى صميمها عبارة عن قوة الشخصية ، أو قوة الابتكار والابتداع . ويقول أحد الكتاب الانجليز : « إن كل كاتب كبير يأتى الى هذا العالم بشىء جديد كل الجدة : ذلك هو نفسه » . والكاتب المخلص لفنه يسكب نفسه ويبث روحه فى كل ما يكتب ، ومن ثم اختلفت آثار الكتاب وانطبعت بصور شتى من شخصياتهم . وواجبنا عند دراسة الأديب أن نبرز طابعه الشخصى للعيان ، ونفصله كل التفصيل ؛ فهو أهم ما يجب أن نعرف عنه ، وللأديب من الأهمية والعظمة بقدر ما لهذا الطابع من قيمة وجاذبية .

٢ — المذاهب والمدارس فى الأدب

ليست شخصية الكاتب إلا ناحية واحدة من نواح كثيرة ، يختص بدراستها تاريخ الأدب . فلو أنا دونا مصنفاً يجمع بين دفتيه تاريخ حياة الأدباء وذكر آثارهم ومخلفاتهم متنافرة لا تؤلف بين ابعاضها فكرة ، ولا تربط أجزاءها صلة ، كان تأريخنا لأدب اللغة ناقصاً قليل الفائدة ، لأن الأدب برمته يرتقى وينحط من عصر الى عصر . وعلى مؤرخ الآداب أن يدرس أسباب الرقى والانحطاط ، وتأثر الأدباء بها أو تأثيرهم فيها ، وأن يدرس صلاتهم بأسلافهم وأخلاقهم ، فان من الكتاب من يرتفع الى درجة السمو والكمال ، فيطبع عصره بطابع خاص ، ويظهر من بعده أتباع له يتأثرون آراءه وأساليبه ، معترفين بفضله حيناً ومنكرين أحيانا . والكتّاب الذى يلقى رواجاً عند جمهور الناس لا يلبث أن يظهر له أشباه ، وأن يتكرر ما فيه مرات ومرات : وهكذا تنشأ المدارس فى الأدب ، وتظهر الحركات التجديدية التى تحيا حيناً من الدهر ،

---

٨ — إن اختراع الطباعة — ذلك الاختراع الخطير — استلهمه جون جينسفليش فى ساعة نشوة وطرب حيث نقش الحروف الأولى من اسمه على شجرة ، ثم ساقه الخيال الحالم الى أن يضع عليها ورقة فانطبعت عليها هذه الحروف

٩ — إن جاك لافاييت أحد رجالات المال والسياسة الفرنسيين ، والذى لعب دوراً خطيراً فى ثورة عام ١٨٣٠ كان فى الأصل بائساً معدماً . وقد نسب العمل الذى فتح أمامه طريق اليسار والفخار الى التقاطه دبوساً ضائعاً فى شوارع باريس

١٠ — خطرت نظرية الجاذبية لسير اسحق نيوتن عند ما رأى تفاحة تسقط مصادفة من شجرة كان يرقد تحتها فى لحظة تفكير وتأمل .

١١ — قال قيصر « للمصادفة أثر كبير فى الحرب » ولكن أثرها أكبر فى الاكتشافات العلمية والاحداث السياسية (جريدة التيمس)

١٢ — قد تؤدى حادثة صغيرة جداً الى نتائج عظيمة الشأن . وأحياناً تسبب أروع النكبات (تشيمبرز)

ثم تموت لتخلى السبيل الى ظهور مدرسة أخرى أو حركة جديدة حينما تتغير الأذواق وتتبدل المذاهب . فاذا قلنا — مثلا — مدرسة « پوپ » فى الأدب الانجليزى ، انصب قولنا على جميع الشعراء الذين تبعوه فى الأسلوب الذى أذاعه بين الناس ورفعه الى مرتبة الكمال . واذا ذكرت « الحركة الكلاسيكية » فى الشعر ، حملت الى أذهاننا عصر پوپ الذى تميز بالرجوع الى تراث الأقدمين وورود مناهجهم الأدبية . واذا قلنا الحركة الرومانتيكية فى النثر الخيالى ، قصدنا ذلك المنوال الذى أنشأه « سكُت » فى كتابة القصص التاريخية ، ونسج عليه أتباعه ومقلدوه . وقد ظهرت المدارس والمذاهب كذلك فى الأدب العربى ، فكان فى العصر العباسى مدرسة وعلى رأسها الأصمعى ، لاتحب إلا الشعر الجاهلى ، ولا تحب من المحدثين إلا من قلد القدماء . وقد أدخل المتنبى والمعرى الفلسفة فى الشعر ، فأصبحت مذهباً من المذاهب له أشياعه وأنصاره .

هذه المدارس والحركات تلعب دوراً هاما فى تطور الأدب ، ولها من الأهمية فى دراسة تاريخ الآداب ما لا يقل شأناً عن دراسة شخصيات الكتاب أنفسهم . فان الأديب مهما كان مجدداً مبتكراً فهو مازال الى حد كبير وليداً لبعض الكتاب السابقين ، يستلهمهم الرأى ويستوحيهم الأسلوب . وقد ذكرنا مثلا أن « پوپ » مجدد فى الشعر الانجليزى ، له أسلوب خاص ومدرسة خاصة ، ولكنا اذا أمعنا فى البحث عرفنا أن هذا الأسلوب لم يكن من خلقه وإنشائه ، وإنما بلغ الذروة من الكمال على يديه بعد ما سار شوطاً بعيداً فى التقدم والترقى ، ووصل الى درجة تكاد تدانيه دقة وروعة فى كتابات الشاعر دريدن . وقد تعلم سكُت فى مدرسة رومانتيكية قبل أن يصبح زعيما لهذه الحركة ، وظهرت الفلسفة فى الشعر العربى قبل المتنبى والمعرى . وكثيراً ما ينعت شكسبير بأنه يتفرد فى عصره بالسمو والكمال الأدبى ، وأنه ابتكر الدرام لم يتبع فى ذلك أحداً ولم يتأثر أحداً ، ولكنه فى الواقع لم يكن إلا متمماً لجهودات السابقين من الكتاب أمثال نكولاس يودال ، وتوماس فورتن ، وغيرهما ممن لا يرد ذكرهم فى تاريخ الأدب إلا لماما .

وتاريخ الأدب يوضح لنا هذه الصلات ويربط كاتباً بآخر ، وجماعة بجماعة ، ومدرسة بمدرسة ، كما يدرس أسباب التطورات المختلفة فى عصور الأدب ، وتأثير فحول الكتاب فى الجمود بالأدب والسير به فى مناهجه القديمة أو النهوض به وتوجيهه وجهات جديدة . وقد عرفنا أن روح الأدب تتغير من عصر الى عصر ، وكثيراً ما يتحكم الذوق العام عند جمهور الشعب فى هذا التغير ، فيخرج الأدب على غراره وينطبع بطابعه . وكما أن لكل جيل أسلوبه فى الشعور ، فكذلك لكل جيل ذوقه الخاص . هذا الذوق سريع التقلب والتغير ، فان عصر ڤكتوريا فى الادب الانجليزى (١٨٣٢ — ١٨٨٧) على قرب عهده وشدة صلته بالعصر الحديث يختلف فى أدبه عن الادب الحديث ، كما يختلف فى زيه عن الازياء الحديثة . والفرق واضح بين لغة الادباء فى مصر الآن ، وبين لغتهم منذ عشرين عاما فقط ، ذلك لأن القراء قد تبدلت أذواقهم وتغيرت طرائق معيشتهم .

وتاريخ الادب يبحث قبل كل شىء عن أسباب هذا التطور فى الاساليب والاذواق ، وقد عرفنا أن شخصية الكاتب عامل عظيم الاثر فى هذه الانقلابات ، لان الكاتب الفذ يخلق ذوقاً جديداً وينشىء عصراً جديداً ومرحلة جديدة فى الادب ، ولكنا يجب ألا نغالى فى تقدير شخصية الكاتب حتى نجعلها تبتلع العوامل الأخرى وتستغرقها جميعا ، فقد ذكرنا أن النابغة يصاغ فى قالب من الثقافة والمثل العليا والاتجاهات العقلية والخلقية التى يولد فيها ، مما يكون له أكبر الأثر فيما يكتب ويخرج لهذا العالم . وكما يؤثر الأديب الفحل فى عصره فهو كذلك يتأثر به ، ويتوقف نجاحه الى حد كبير على خضوعه لأذواق الجماهير ومجاراته لأهوائهم ، وعلى ذلك فالكاتب ابن عصره ، ولا بد لنا عند دراسته من معرفة العوامل التى كيفت آراءه وحددت ذوقه الأدبى ، وجعلت له طابعاً خاصاً فى أدبه — وقد تكون هذه العوامل أدبية ترجع الى الكتب والمدارس كما يتميز عصر اليزابث — مثلا — فى الأدب الانجليزى باندفاعه وراء الآداب اللاتينية والاغريقية التى بعثها النهضة الأوربية ، فتأثر الكتاب فى ذلك العصر بسحر الأدب الايطالى ، وكما انبعثت آداب العصور الوسطى وفنونها منذ سنة ١٧٥٠ ، وتمثلت فى كولروج وسكت . فالواقع الذى لا مراء فيه أن المؤثرات الأدبية تأتى بأذواق جديدة تجرف أمامها أشد الكتاب استقلالاً فى الرأى .

ولكن الأدب يتأثر بعدة عوامل أخرى غير العامل الأدبى ، عوامل لا تمت الى الكتب والمدارس بصلة ، ولكنها تتصل

بالحياة العامة والسياسة والاجتماع بسبب ، فكل ما يبعث اتجاهاً جديداً في الرأى أو فى منحى الحياة أو فى مجرى السياسة والشعور العام يؤثر فى تكوين الآداب الى حد كبير . ويجب علينا عند دراسة أى أثر من الآثار الأدبية ألا ننسى ظروف الزمان والمكان التى أحاطت بالكاتب عند تحرير كتابه .

٣ — صلة التاريخ بالأدب

لكل جنس من الأجناس البشرية ولكل عصر من عصور التاريخ مميزات خاصة ، ومهما تكن شخصية الأديب بالغة من القوة ، فان روح جنسه وعصره لا بد ظاهرة فيه ، وعلى ذلك فتاريخ الأدب يتأثر بمؤثرات وطنية كما يتأثر بمؤثرات شخصية . ويكفى أن نذكر الاصلاح الديني والثورة الفرنسية وظهور الاسلام وتقدم العلوم فى القرن التاسع عشر ، وغير ذلك من الحوادث العظمى فى التاريخ لنتبين العلاقة المتينة بين تاريخ الأدب والتاريخ العام .

ولا يقتصر تاريخ الأدب على دراسة المخلفات الأدبية لمختلف الكتاب ، كل كاتب على حدة ، وإنما هو يشمل كذلك دراسة أدب الأمة جملة واحدة ، وإظهار مميزاته العامة باعتباره انتاجاً لعقلية هذه الأمة ككتلة واحدة لها تفكير خاص وشعور خاص ، فللأدب العربى — مثلاً — مميزاته العامة ، وللأدب الانجليزى مميزاته العامة كذلك ، وتختلف هذه عن تلك بمقدار ما يختلف الشعبان فى الجنس والسلالة .

كل ما له أثر فى تكوين الأمة له أثر فى نسج أدبها ، فان أدب الأمة هو تاريخها الذى دونته بقلمها يصور لنا أخبار رقيها العقلى والخلقى . واذا تتبعنا تاريخ الأدب فى كل ما طرأ عليه من تقلبات ، فنحن على اتصال مباشر بالأسباب الحقيقية ، والحركات الدافعة لحياة الأمة فى العصور المختلفة ، ونحن مستطيعون أن نفهم نظر أهل تلك العصور الى الحياة وألوان مسراتها وأنواع ملاهيها وفلسفتهم فى الوجود ومختلف العواطف والأحاسيس التى كانت تجول بنفوسهم ، ومثلهم العليا فى الأخلاق والذوق ، وأى صفات البطولة كان لها سلطان قوى على النفوس ، وكان لها نصيب كبير من الاعجاب ، فالأدب كما يقولون مرآة تنعكس عليها روح الشعب وحياته .

٤ — عصور الأدب

وقد اعتاد مؤرخو الآداب أن يقسموا الأدب الى عصور مختلفة ، ولم يلجأوا الى ذلك لسهولة الدرس فحسب ، ومن قبيل تقسيم الموضوع المتشعب الى أبواب وفصول ، ولكن هناك ما يبرر هذا التقسيم ، فالعصر التاريخى عبارة عن فترة زمنية يسود فيها نوع من الذوق العام ، وعلى ذلك فان أدب ذلك العصر يتسم بصفات خاصة من حيث المادة والفكرة والأسلوب . وقد تختلف آثار الكتاب البارزين بقدر ما تختلف شخصياتهم ، ولكن تلك الصفات العامة تظهر فيهم أجمعين ، ولا ينتهى عصر ويخلفه آخر ، إلا بعد تغيير حاسم فى الذوق العام .

ولكننا يجب أن لا نضع الحواجز المتينة بين عصر وعصر ، فليس تاريخ الانسان أبواباً وفصولاً ، ولكنه تيار واحد متدفق يتعرج حيناً ذات اليمين وحيناً ذات اليسار ، ليس له بداية معينة ولا نهاية محدودة ، والعصور التاريخية فى الواقع آخذ بعضها بتلابيب بعض ، وقد يبدأ الرجل عمله فى عصر من العصور ولا ينتهى منه الا فى عصر آخر ، كالمخضرمين بين الجاهلية والاسلام ، وكبشار وابن المقفع بين العصر الاموى والعصر العباسى . وقد عاش دريدن وملتون فى زمن واحد ، ولم يعمر أولهما بعد الآخر الا سنوات قلائل ، ومع ذلك فقد اعتاد مؤرخو الأدب الانجليزى أن يضعوهما على رأس عصرين متتابعين يعرفان بعصر « دريدن » و عصر « ملتون » . ومع ذلك فان لتقسيم الأدب الى عصور أهميته الدراسية لأنه يوجه أنظارنا الى المراحل التى اجتازها الأدب وتميز فى كل مرحلة منها بميزة خاصة ، وهو أهم ما يعني به مؤرخ الآداب .

وللمؤرخ أن يطلق على هذه العصور أسماء يشتقها من التاريخ ورجاله كعصر الزبابث ، وعصر فكتوريا ، وعصر المأمون . ولكن الأجدر بنا أن نسمى تلك العصور بأسماء مشتقة من الأدب نفسه ونطلق عليها أسماء مشاهير الكتاب الذين يمثلونها فنقول عصر شكسبير وعصر ملتون وعصر المتنبى . وعصر الجاحظ . . الخ ليسهل على الطالب أن يدرك بنظرة سريعة الصفات التى يتميز جيل عن جيل ما ؟

محمود محمود محمد

من طرائف الشعر

الوادى

لصوت الطبيعة الصارخ ألفونس دى لامارتين

للشاعر الدمشقى أنور العطار

« إلى التى علمتنى الحب وعلمتنى الألم ،
وجعلت من حياتى مشابه لحياة هذا
الشاعر، فى خيبة الحب ، وحرقة القلب ،
ومشجى النغم ، ومذيب الألم ! »

إيهِ وادى الصِّبَاء والأحلامِ   إيهِ مَهْوَى الإيحاء والإلهامِ
هَبْ لِضَعْفِى مَلاذَ يومٍ قصيرٍ   أترقَّبْ فيهِ دُنُوَّ حِمامى
لم يَعُدْ قلبىَ السَّئُومُ المُعَنَّى   يرتجى من عَمايةِ الأيَّامِ
أن تُعيدَ المُنَى إليهِ عِذاباً   مُغرِياتٍ بثغرِها البَسَّامِ

***

هُوَ ذا المسلكُ الذى ضاقَ ذرْعاً   فى ثنايا الوادى المُضِبِّ النَّواحى
تتدلَّى الغاباتُ حوْلَ حِفافيْـــهِ وتبدُو مُلتفَّةَ الأدْواحِ
باعِثاتٍ إلى جَبينىَ فَيْئاً   مِنْ غُصُونٍ تميدُ بالأفْراحِ
غامِراتٍ ساحَ الفؤادِ سَلاماً   مُقْصِياتٍ عَنِّى شجَا الأتْراحِ

***

ها هُما جَدْوَلانِ فى قاتِمِ البُعْـــدِ استَتَرا فى مَسْرَبِ الأعشابِ
رَسَما فى المسيرِ مُنعَطفَ الهضْـــبِ ومَسْرَى الرُّبا ومَنْحَى الشِّعابِ
مَزَجا فى هُنَيْهةٍ ناغِمَ المَا   ءِ بمَوْجٍ كالهادِرِ الصَّخَّابِ
ثُمَّ غابَا عن العُيُونِ وضاعا   فى قَصِىِّ المَدَى وخافى الرِّحابِ

***

ولِكلا الجدْولَيْنِ فى التَّهْدارِ   فاضَ نَبْعِى وَلَجَّ فى التَّيَّارِ
ثُمَّ وَلَّى وَلَيْسَ صَوْتٌ ولا اسْـ   ـمٌ أوْ مَعادٌ إلى حِمَى التَّذْكارِ
فيهما الماءُ قد ترامَى نقِيًّا   مُشْرِقَ السَّكْبِ مثلَ شمسِ النَّهارِ
غيرَ أنِّى ، والهفَ نفسى ، كئيبٌ   وَمِياهِى مُرْبَدَّةُ الأنْوارِ

***

فى ضِفافٍ مِنَ الجَداوِلِ غَرْقَى   فى دُمُوعِ النَّدَى وسَجْوِ الظِّلالِ
كُنْتُ أقْضِى سَحابَةَ اليَوْمِ مَغْلُو   لاً بقيْدٍ مِنَ الطَّبيعةِ غالِ
وَعلَى هادِرِ المِياهِ تَغُطُّ النَّـ   ـفْسُ فى حُلْمِها البَعيدِ المَجالِ
مِثْلَ طِفْلٍ أغْفَى على نَغَمٍ حُلْـ   ـوٍ وَغَمِيسٍ فى زاهِرِ الآمالِ

***

آهِ ! هَلْ لى إلى هُناكَ مَعادٌ   حَيْثُ أفْنَى فى زاخِرِ الأمْواجِ
إنَّ عَيْنِى تَهْفُو إلى ذلكَ الأفْـ   ـقِ وتَهْوَى تَزاحُمَ الأحْراجِ
لَيْتَنِى فى حِمَى الطبيعةِ أبْقَى   سادِراً فى بِقاعِها والفِجاجِ
ثُمَّ أرْنُو إلى السموات مِفْرَا   حاً أُصَلِّى فى ذَهْلَتِى وأُناجِى

***

كم تَعَشَّقْتُ فى حياتِى وَكَمْ زَوَّ   دَتْ عَيْنِى مَرْأًى، وَقَلْبِى شُعُورَا
غيرَ أنِّى رَجَعْتُ أدْراجَ ذاكَ الْـ   ـعَيْشِ أبْغِى إلى الهُدُوءِ مَصِيرَا
يا مَطافَ الجَمالِ باللهِ كُنْ لى   شاطِئاً للسُّلُوِّ يوْماً قَصيرَا
لَيْسَ غيرُ النِّسْيانِ يَمْلأُ نفْسى   أمَلاً واسِعاً وصَبْراً غَزِيرَا

***

إنَّ نَفْسِى فى هدْأةٍ وفُؤادِى   فى ارْتِياحٍ يَفُوقُ كُلَّ ارْتِياحِ
لَمْ يُعَكِّرْ صَفاءَهُ الألَمُ المُرُّ (م)   وَمَا فى حِماهُ مِنْ أتْراحِ
والضَّجِيجُ القَصِىُّ للكَوْنِ يَفْنَى   كَفَناءِ الأشْباحِ فى الأشْباحِ
مِثْلَما يُضْعِفُ المَدَى الصَّوْتَ فى الأذْ   نِ تَمَشَّتْ بهِ مُتُونُ الرِّياحِ

***

قَدْ رَأيْتُ الحياةَ بَيْنَ الغُيُومِ   تَتَوارَى فى الغابِرِ المَوْهُومِ
وَيَضِيعُ البَرِيقُ مِنْها وَيَخْفَى   خلفَ سِتْرٍ مِنَ الزَّمانِ القَدِيمِ
غيرَ باقٍ مِنها سِوَى الحُبِّ يَبْدُو   فى إطارٍ مِنَ الخَيالِ عظيمِ
وحْدَهُ ثابِتٌ لَدُنْ قَدْ أفاقَ الْـــقَلْبُ مِنْ حُلْمِهِ العَميقِ الهُمُومِ

***

إيهِ نفسى قِفِى على المَلْجَأِ البا   قِى ولُوذِى بهِ لِكَىْ تَسْتَرِيحى

مثلما يجلس المسافرُ والقلـ — ـبُ مليءٌ من المرامِ المريحِ
هادئَ البالِ قد تهنَّأ لمَّا — بلغَ القصدَ بعدَ سيرٍ طليحِ
راح يستنشقُ الهواءَ نقيًّا — في مساءٍ بالنافحاتِ طفوحِ

***

مثلَهُ فلننثرْ غبارَ خطانا — مالنا رجعةٌ إلى ذي الطريقِ
مثلَهُ فلننشمْ في غابةِ العمـ — ـرِ أريجاً من الصفاءِ العميقِ
حلمُ عيشنا يمرُّ ويمضي — غيرَ حلوِ الرؤى وغيرَ أنيقِ
مابهِ جِدَّةٌ يرفُّ سناها — وهو عمرٌ بكلِّ رثٍّ عتيقِ

***

إنَّ أيامَكِ القصارَ العبوسا — تِ كمثلِ الخريفِ في الإجهامِ
تنطوي مثلما يُغيَّبُ ظلٌّ — في ثنايا الهضابِ والآكامِ
ثُمَّ تزوي عنكِ الصداقةُ والعطـ — ـفُ يولّي موشَّحاً بظلامِ
في طريقِ القبورِ تهوينَ حسرى — وتضيعين في سجونِ القتامِ

***

بيدَ أن الطبيعةَ الرحبةَ القلـ — ـبِ تناديكِ في حنانٍ عظيمِ
فاغمسي روحكِ اللهيفةَ فيها — فهيَ أحنى من كلِّ قلبٍ رؤومِ
فإذا ما ضجرتِ من عالمِ البغـ — ـضِ وما في مطافهِ من همومِ
فارجعي القهقرى اليها ترىْ عا — لَمَ حبٍّ قد ضمَّ كلَّ مرومِ

***

فهيَ توليكِ ظلَّها وسناها — وتُصفّي من الآثامِ هواكِ
أنصتي للصدى العميقِ «فبيتا — غورَ» قد تامهُ صدى الأملاكِ
فاعبديهِ وقدّسيهِ طويلاً — إن فيهِ ما تشتهيهِ مُناكِ
أرهفي أذنكِ اللطيفةَ تسمعْ — في سماها نشائدَ الأفلاكِ

***

اتبعي النورَ في السماءِ وماشي الـ — ـظلَّ في الأرضِ وامرحي في الوهادِ
واصعدي في رُبا النسيمِ مع الريـ — ـحِ التي لا تعي من الإنشادِ
واملئي الغابَ فرحةً والسواقي — واسرحي طلقةً من الأصفادِ
خاصري ذلك الشعاعَ السماويَّ (م) — وهيَّا ارقصي بظلِّ الوادي

***

نفحَ اللهُ بالذكاءِ بني الأر — ضِ لكي يهتدوا إلى موحيهِ
ويُناجوهُ ضارعينَ إليهِ — لم يخبْ قطُّ في الدنا راجيهِ
إنَّ صوتاً يُخاطبُ الروحَ حلواً — وهيَ غرقى في صمتها والتيهِ
آهِ من لم يسمعْ نداءً خفيًّا — هوَ في قلبهِ صدى مُلقيهِ

دمشق — **أنور العطار**

من المجمع الأدبي

حنين الى نخلة

يا نخلةً في أعالي النهر باسقةً — قلبي إليك يذوب اليوم تحنانا
هلا تزالين مثل الأمس وارفة — ولم يزل سعفك المخضر ريانا ؟
تشدو القماري فيه بكرةً وضحىً — ويسجع البلبل الغريد سكرانا
والنهر تحتك يجري باسماً طلقاً — والموج يغدو يجر الذيل خجلانا
والفلك دونك تسري وهي حاملة — من أهل جنتنا حوراً وولدانا
يا نخلةً أهلها يرجون غلّتها — ونرتجي ظلها الزاهي ليرعانا
قولي بربك هل مازلت قائمةً — ولم يزل ظلك الفينان فينانا
يا نخلةً قد سقيناها بأنفسنا — إذ نستقي في حماها اللهو ألوانا
هل صنت سري وعهدي بعد أن فضحت — سرى الليالي وخان العهد من خانا
من مسَّ جذعك بعدي جُذَّ ساعده — أو نال سعفك يوماً نال أحزانا
لاطاب تمرك بعد اليوم من ثمر — ولا أفأت بظل منك انسانا
حتى ترد لنا الأيام غربتنا — وترجع العيش صفواً مثل ما كانا!

بغداد — **فتى شط العرب**

خولة بنت الأزور الكندى

بقلم . م . أسعد طلس

فى السنة الثالثة عشرة للهجرة يعزم خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفتح الشام فيجمع الصحابة ويخطبهم قائلاً « . . . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عول أن يصرف همته الى الشام فقبضه الله إليه ، واختار له ما لديه ، ألا وإنى عازم أن أوجه أبطال المسلمين الى الشام بأهليهم وما لهم ، فماذا ترون ؟ » فلا يرى من المسلمين إلا ارتياحاً ، فيعمد الى بقية الأمصار الاسلامية من أطراف الجزيرة فيكتب إليهم بالأمر ، ويستنفرهم خفافاً وثقالاً ليجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله، وما هى إلا أسابيع حتى تقدم عليه الوفود فى العدد العديد ، والذرارى والأموال ، فيخرج إليهم المسلمون مستقبلين بوجوه باسمة ، وقلوب جذلانة ، ويعم المدينة روح مبارك ، وكيف لا والمسلمون يجتمعون كلهم فى صعيد واحد لنصرة دين الله ، ورفعة شأو التوحيد .

ها هى ذى حمير بدروعها الدوادية ، وسيوفها الهندية ، تزحف بآلافها المؤلفة وعلى رأسها زعيمها ذو الكلاع الحميرى ، يكبر ويهلل والقوم من ورائه يكبرون ويهللون . وها هى ذى كتائب مذحج وطىء والأزد وكنانة بخيولها العتيقة ، ورماحها الدقيقة ، تؤم عاصمة الاسلام ، فما أن يراهم أبو بكر حتى يخر لله شاكراً أن ألف من هذه القبائل المتنافرة أمة واحدة، نزع الله ما فى قلوبها من غل ، وجعلهم بنعمته اخواناً ينصرون دينه وينشرون رسالة نبيه . فى أطراف المعمورة .

اجتمعت هذه الآلاف العديدة فعسكرت خارج المدينة تنتظر إشارة أبى بكر خليفة رسول الله ، وما أن تكاملت الوفود حتى خرج إليهم رضوان الله عليه فى جمهرة من كبار الصحابة ، فلما أن أشرف عليهم من عل ورآهم قد ملأوا السهول والجبال حتى حمد الله وقال « اللهم أنزل عليهم النصر وأيدهم ، ولا تسلمهم الى عدوك إنك على كل شىء قدير »

ثم أمر الأمراء وعقد الألوية ، وأوصاهم وصيته الخالدة وفيها يقول « . . . شاورهم فى الأمر، واستعمل العدل، فانه لا أفلح قوم ظلموا، واذ لقيتم العدو فلا تولوهم الأدبار، واذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولداً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً، ولا تغدروا اذا عاهدتم. وستمرون على قوم فى الصوامع رهباناً يزعمون أنهم ترهبوا فى الله فلا تهدموا صوامعهم ودعوهم . . . » فأمن القوم وهللوا فدوت بأصواتهم الجبال ، ثم ساروا على يمن الله ، وسار الخليفة وكبار الصحابة يودعونهم حتى ثنية الوداع .

سار القوم وكلهم إيمان وصبر ، وعزيمة وحزم ، وطاعة لأمرائهم ، وجلد على السير ، وتواد وتعاطف .

كان فى هذا القوم شاب كندى ما جاوز العقد الثالث، جميل المحيا ، عالم بفنون الحرب ، فاتك فى النزال ، قوى الايمان بنصرة الله عباده المخلصين ، لا يعرف إلا الاقدام ، يتقدم الجيوش والمنية مشهرة سهامها . ذلك هو الأمير « ضرار بن الأزور الكندى » الشاب الحدث الذى ما أغنا غناءه بطل فى فتوح الشام إلا سيد القواد سيف الله خالداً .

وكان فى الغازيات اللائى كن يتبعن هذا الجيش ، كاعب عروب، ذات جمال باهر ، وطرف فاتر، خرجت فيمن خرجن من عقائل حمير تأسوا الجرحى ، وتعين على نصرة الحق . ولقد أبلت بلاء مغاوير الأبطال ، فكان هذا الغزال الغرير ينقلب الى أسد كاسر يصلى العدا ناراً حامية ، يروع القلوب ، ويجف من هوله الأفئدة ، ولم لا وهى إبنة « الأزور » ذلك البطل الذى قضى بين يدى المصطفى دفاعاً عنه ، وأخت ضرار صاحب فتوح الشام ؟ . . .

المسلمون يحاصرون دمشق وأهلها فى أشد الضيق ، وبينا المسلمون يكادون يظفرون بالقوم ، إذا هم برسول من قائد جند أجنادين ، يخبر خالداً أن الروم تجمعوا عليهم فى أجنادين فى عدد عديد ، فيشاور خالد أبا عبيدة فى ترك دمشق، فلا يرى ذلك أبو عبيدة فيقول خالد « فأرى أن ترسل إليهم كتيبة عليها قائد درب، وأرى أن ترسل إليهم يا أمين الأمة رجلاً لا يخاف الموت أبداً ، خبيراً بلقاء الرجال، قد مات أبوه فى القتال، فقال أبو عبيدة ومن ذلك يا أبا سليمان ؟ قال هو ضرار بن الأزور بن طارق ، فقال أبو عبيدة لقد صدقت ووصفت رجلاً باذلاً معروفاً » (١) .

استدعى خالد ضراراً فقال له « يا ابن الأزور أريد أن أقدمك على خمسة آلاف ، قد باعوا أنفسهم من الله عز وجل

(١) فتوح الشام للواقدى

واختاروا دار البقاء والآخرة على الأولى ، فقال ضرار « وافرحتاه يا ابن الوليد ، ما دخل قلبي مسرة أعظم من هذه . ثم يسير ضرار على يمن الرحمن ، فلما بلغ أجنادين رأى جيش الروم ينحدر كأنه الجراد المنتشر ، وهم غائصون فى الدروع وقد أشرقت الشمس عليهم ، فلمعت دروعهم وخوذهم ، فقال أصحاب رسول الله لضرار ما لنا والله بهم حول ، فان هؤلاء جيش عرمرم ، وخير لنا أن نقفل » فيكره ضرار ذلك القول ويقول « والله لا يرانى الله منهزماً ، ولن أزال أضرب بسيفى فى سبيله وأتبع سبيل من أناب إليه ، ولا أوليهم الدبر ، والله يقول (ولا تولوهم الأدبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً لقتال أو متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله) . . . » ثم تكلم رافع بن عميرة فقال « يا قوم اما نصركم الله فى مواطن كثيرة وأنتم قليلو العدد ؟ ألا أن النصر مقرون مع الصبر . ولم تزل طائفتنا تلقى الجموع الكثيرة ، فاتبعوا سبيل المؤمنين ، وتضرعوا الى رب العالمين ، وقولوا كما قال قوم طالوت (ربنا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين) . . » فيسترد القوم قواهم ويهللون ويكبرون (الله أكبر ، الله أكبر ، سيهزم الجمع ويولون الدبر) .

التقى الجمعان وضرار يتقدم القوم وهو يرجز :

الموت حق أين لى منه المفر   وجنة الفردوس خير المستقر
هذا قتالى فاشهدوا يامن حضر   وكل هذا فى رضا رب البشر

ثم اخترق القوم وحمل عليهم حملة نكراء فأحدقوا به ، فأخذ يستصرخ قومه ويقول : « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص » فيهجم المسلمون ويصيب ضراراً سهم فى عضده فيطمع الروم فيه ويحملون عليه فيأسروه . ويجىء خالداً الصريخ فيولى على جند دمشق ميسرة بن مسروق سيد بنى عبس ، ويتوجه بطليعة إلى أجنادين ، وكان بين جنده فارس على جواد فاره وبيده رمح طويلة ، قد تجلبب بجلابيب سود ، وتلثم حتى لايرى منه إلا الحدق ، وكان يسبق القوم وخالد يعجب من أمره ، فلما أن أدرك خالد المسلمين فى أجنادين وجد هذا الفارس المتلثم يهبط على الروم كأنه النار المحرقة ، فزعزع الكتائب وحطم الأجناد . وكان يخترق قلب خميس الروم ، فما هى إلا جولة جائل حتى يخرج وسنانه ملطخ بالدماء ، وقد جندل رجالاً وصرع أبطالاً . ثم يعود فيخرق القوم ثانية معرضاً نفسه للهلاك والناس أمامه اما مصروع أو فارّ . وكثر قلق المسلمين عليه وهم لايدرون من هو — وقد ظنه بعضهم خالد فما هى إلا جولات خالد — ولما رأوا خالداً بينهم سألوه عنه فقال أنا والله لأشد إنكاراً وتعجباً .

وما أن غابت الشمس ووقفت الحرب ، حتى أحدق القوم بهذا الفارس وفيهم خالد يسألونه عن اسمه فلا يجيب ، ثم ينتحى بخالد زاوية فيقول له : « ماسكت ياسيف الله حين سألتمونى عن اسمى إلا حياء منك لأنك أمير جليل ، وأنا من ذوات الحجال ، وإنما حملنى على ذلك أنى محرقة الكبد ، زائدة الكمد . فقال : من أنت ؟ قالت : خولة بنت الأزور أخت ضرار أسير الروم ، أتانى آت بخبر أخى فركبت وفعلت مافعلت . » .

أشرقت الشمس فجدد المسلمون عزائمهم وكروا على القوم وحملوا حملة عظم أمرها على الروم ، وكانت خولة تجول فى كل مكان تطلب أخاها وهى لاترى له أثراً ولا يراه أحد من المسلمين فيعم القوم حزن شديد وتبكيه بقولها : « ياابن أمى ! ليت شعرى فى أى البيداء طرحوك ، أم بأى سنان طعنوك ، يا أخى ، أختك لك الفداء . . . ليت شعرى ، أترانى أراك بعدها أبداً ؟ فقد تركت فى قلب اختك جمرة لايخمد لهيبها ولا يطفأ ، فعليك منى السلام إلى يوم اللقاء » . فبكى القوم وبكى خالد لحالها . وبينا المسلمون فى شدة واضطراب إذا هم بمن يخبرهم بأن الروم أخذوا ضراراً إلى صاحب حمص لينفذه إلى الملك ، ففرح خالد وتهلل وجهه ، وشكرت خولة الله ، فدعا خالد رافع بن عمرة الطائى لينفذه إلى حمص ، فسار خالد فى مئة منهم خولة ، فما وصل القوم قرب حمص حتى كمنوا ، فبينا هم كذلك إذا بنفر أقبلوا ، فنبه رافع قومه ، فلما قاربوهم كر عليهم رافع فاذا فيهم ضراراً فتجالد الفريقان حتى أنقذ ضرار ، فخرت خولة لله شكراً وشكر خالد لرافع بلاءه .

هذا موقف من مواقف بسالتها الخالدات ، وما موقفها يوم أسر النساء فى يوم صحورا والناس يغزون الشام بالأمر الذى ينسى فقد ذكر الطبرى أنها أسرت فى فريق من نسوة حمير . فجمعتهن وخطبتهن تستحثهن على الثورة على هؤلاء الأعلاج ، وقالت « يابنات حمير ، وبقية تبع ، أترضين لأنفسكن علوج الروم ، وأن يكون أولادكن عبيداً لأهل الشرك ، فأين شجاعتكن التى تتحدث بها عنكن أحياء العرب ، ولا أراكن إلا بمعزل عن ذلك ، وإنى أرى القتل عليكن أهون من هذه المصائب ، وما تزل بكن من

خدمة الروم الكلاب » فقالت عفراء بنت غفار الحميرية « صدقت والله يا بنت الأزور ، نحن والله فى الشجاعة كما ذكرت ، وفى البراعة كما وصفت، لنا المشاهد العظام، والمواقف الجسام . ولقد اعتدنا ركوب الخيل ، وهجوم الليل . غير أن السيف يحسن فعله فى مثل هذا الوقت ، ولقد دهمنا العدو على حين غرة ، وما نحن الا كالغنم بدون سلاح » فقالت خولة « يا بنات التبابعة، خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الأطناب ، نحمل بها على هؤلاء ، فلعل الله ينصرنا فنستريح من المعرة » فقالت عفراء « والله ما دعوت إلا ما هو أحب إلينا » ثم تناولن الأعمدة وتقدمتهن خولة وهى تقول لهن لا ينفك بعضكن عن بعض ، وكن كالحلقة الدائرة ، وأوسعن أرجل أفراس القوم ضرباً ، ولا تتفرقن فيقع بكن التشتيت ، ثم هجمت وهى تقول :

نحن بنات تبع وحمير ... وضربنا فى القوم ليس ينكر
لأننا فى الحرب نار تسعر ... اليوم تسقون العذاب الأكبر

وما هى إلا جولات حتى خلصن الى المسلمين .

هذان موقفان من مواقف البطولة فى هذه المرأة العربية المسلمة ولقد كان لها رضوان الله عليها مواطن أخر غر صالحات . جعل الله منها اسوة حسنة لمرأة اليوم ، هداها الله أقوم طريق .

م . أسعد طلس

فى الأدب الفرنسى

٥ـ الدوق دى لاروشفوكو

للدكتور حسن صادق

ثم انتقل الى وصف عواطفه فقال « إنه رحب الأناة ، ناصح السريرة ، لا يتملكه الغضب ، ولا يضمر لاحد من الناس العداوة والبغضاء » . وعقب هذا الوصف قال : « لست مع ذلك عاجزاً عن الانتقام لنفسى اذا اعتدى أحد على أو أساء الى شرفى . وفى هذه الحال أومن بأن الواجب يقوم فى نفسى مقام الحقد ، ويأمرنى بأن أتم انتقامى فى صلابة وعزم »

وليس فى هذا القول شذوذ أو غرابة ، ولكن ما يقوله عن الشفقة يثير الدهشة والعجب : « إنى قليل الشعور بالشفقة ، وأستريح الى ذلك جد الراحة . ولكنى اذا رأيت انسانا جعجعت به المصائب ، بذلت غاية جهدى فى مواساته . وأعتقد حقاً أن من الواجب على الانسان أن يسلك كل السبل التى تؤدى الى اظهار الشفقة على من تصيبه الارزاء والمحن ، لان البائسين أغبياء الى درجة تجعلهم يجدون فى اظهار الشفقة عليهم والرثاء لحالهم راحة وعزاء . وأجد من الحزم إظهار هذه العاطفة دون الشعور بها صدقاً ، لانها لا تصلح لشىء فى دخيلة الانسان ولا عمل لها إلا إضعاف القلب وتحطيمه ، ويجب النزول عنها للدهماء لانهم لا يفعلون شيئاً بايحاء العقل فهم فى حاجة الى عاطفة تحفزهم الى العمل »

وقوله هذا يعبر أبلغ تعبير عن روح القرن السابع عشر الذى عرف الناس فيه بصلابة القلب وضعف الحساسية . كانوا أثناء الحرب الاهلية يدمرون نهارا ويقتلون ، ثم يرقصون ليلا ويمجنون ، وكانوا يتحدثون عن التعذيب والقتل فى بساطة الحديث عن الدعابة الفرحة ، والفكاهة الشهية .

ويجمل بنا فى هذا المقام أن نذكر رأى ثلاثة من قادة الفكر فى هذه العاطفة ، لنرى الفرق الشاسع بينهم وبين لاروشفوكو . فمونتنى [1] يقول : « انى شديد الميل الى الرحمة والوداعة » . وديكارت [2] يرى أن ميزة النفس الكبيرة « أن يكون شعورها

---

(١) ١٥٣٣ — ١٥٩٢ فيلسوف فرنسى وكاتب أخلاق خالد الذكر . تعلم اللاتينية طفلاً ، ولما بلغ السادسة من عمره كانت هذه اللغة هى الاداة التى يخاطب بها الناس . وفى عام ١٥٥٦ أتم دراسة القانون واشتغل بالقضاء عام ١٥٧٠ . ثم اعتزل منصبه ووقف أوقات فراغه على البحث والدرس والسياحة . ويدين بشهرته الى كتاب واحد وضعه وسماه « تجارب » لأنه كما قال أراد يجرب ملكاته الطبيعية . وقد جمع فى هذا الكتاب موضوعات فى التاريخ والفلسفة والسياسة والأدب وصور فيه نفسه والانسانية وكون آراءه فى الانسان من الاختلاط بأهل عصره وملاحظتهم، ومن كتب القدامى كبلوكارخوس وسينكا . وهو يعتقد أن العقل عاجز عن ادراك الحقائق الميتافيزيكية بدون وحى أو إلهام الاهى . وكان يحرص على دين أبويه ، ولكن روح المسيحية لم ينفذ الى قلبه . وهو واقعى فى اعتقاد بعض الناس ومتشكك فى ملة البعض الآخر . وكان من الناحية الاخلاقية أبيقوريا ، ولكنه كان يؤمن ببعض فضائل، مصدرها الرضاء بالقدر والصبر على المكاره ، وبقوة الارادة ، وأسلوبه طريف فرح حى نضير

(٢) ١٥٩٦ — ١٦٥٠ فيلسوف فرنسى عظيم ، صاحب مذهب خاص يقتضى التجرد من كل المعلومات السابقة والبناء من جديد على نور العقل ، أى آتخاذ الشك سبيلاً الى اليقين . وقد بدأ بالشك فى الوجود ثم ثبت له أن آلة الشك هى الفكر ، فآمن بوجود الفكر والمفكر

بآلامها أضعف بكثير من شعورها بآلام غيرها » . ويتطلب لاروبير[1] من النفس العالية « أن تكون قوية الشكيمة فلا تلين صعدتها إلا أمام عاطفة واحدة هي الشفقة »

ومما يدعو الى العجب أن لاروشفوكو الذي ينكر هذه العاطفة في مقاله ومولعظه ، يقرها في مذكراته ورسائله . فقد كتب عن ثورة الفلاحين في (بواتو) التي سبق ذكرها في تاريخ حياته يقول : « لا أنكر أن بؤسهم جعلني أنظر بعين الشفقة الى تمردهم » . ثم طلب من الوزير ما زاران في ذلك الوقت أن يمنحه حق العفو . ولما أجيب الى ما طلب أحسن استعمال هذا الحق ، فلم يخدش شرفاً ولم يسفح دماً . وقبل موته بقليل أي في عام ١٦٧٤ كتب الى الآنسة دي سكودري يقول : « بودي لو تنفق سوق الرحمة وتصبح بدعة يولع الناس بها ، فلا يقع بصرنا بعد ذلك على بائسين » . وكثيراً ما رأته مدام دي سفنييه « متلبساً بالحنان » ، فأدركت أنه يظهر من عواطفه وقلبه غير ما يبطن . ويغلب على ظننا أن هذا الرجل لم يمز طبيعة نفسه من الأثر الذي أنشأته فيها البيئة والبلاط . فقد اشترك في الدسائس ورأى الأمراء والعظماء يتكالبون على متاع الحياة ، ويجدون في البحث عن مصلحتهم الذاتية في جشع وخسة ، فكرههم واحتقرهم وقسا في الحكم عليهم ، مع أنه بطبعه كريم رحيم . وأثر البيئة هو الذي جعله يخلص الود لعدد قليل من الناس اختارهم قلبه ، وهذا شأن المتشائمين أمثاله ، يضعون كل افتقارهم الى الحب في بعض أفراد أعزاء عليهم . وهذا الافتقار الى الحب هو جوهر نفورهم من الناس

وكان لاروشفوكو الى جانب الصفات التي سبقت ، طموحاً ولو أنه ينكر ذلك . لم يستحوذ عليه طموح ريشليو ، أو على الأقل عجز عن بلوغ شأو هذا السياسي العظيم ، فتمنع بالسعي وراء الحصول على لقب لزوجه ، والسماح له بدخول قصر اللوفر في عربة . فلما أخفق في سعيه ، اقتصر طموحه على كتابة « المواعظ »

وقد حال خجله دون دخوله مجمع العلماء لأنه كان يعجز عن الكلام أمام جمع كبير من الناس ، وتقليدات المجمع تفرض عليه أن يرد على خطبة الاستقبال بخطبة أخرى وما كان يجيد الحديث إلا في الصالونات الأدبية التي يؤمها عدد قليل من الأصدقاء الأخصاء . وكان من عادته أن يتكلم قليلا ، وينفر من الثرثارين الذين يدخلون الخطابة في الحديث ، ويفرضون الصمت والاصغاء على غيرهم . ويعتقد أن « المصلحة الذاتية هي روح عزة النفس أو الأثرة » حتى في السمر والمناقشة ، فاذا لم يفكر كل إنسان إلا في نفسه وفي قوله ، شل الآخرين وبعث في نفوسهم الضيق والضجر ، ويرى أن أمثل الطرق لانعاشهم وإنقاذهم من الملل هو الاصغاء إليهم وإظهار الابتهاج بقولهم . ومن وصاياه المأثورة : « يجب الاصغاء الى المتكلم مهما كان حديثه واهي الرباط طائش الغرض عاريا من المعنى . ولا أوصي بتجنب معارضته ومقاطعته فحسب ، بل أوصي أيضاً برياضة النفس على احتمال روحه وذوقه والاطمئنان إليهما والتشبع بهما ، وإطراء قوله بقدر ما يستحق ، ووضع هذا الاطراء في قالب أميل الى الحقيقة منه الى اللياقة والمجاملة » . وعرف بالتجربة والملاحظة أن لا شيء أبغض الى النفس وآلم للأذن من أن يجعل الانسان نفسه محور الحديث في كل موطن ، فتجنب ذلك جهد المستطاع

وكان يكره من المتكلم لهجة الثقة المستبدة والتعبير الذي يدل على البحث الطويل وأعنات القريحة ، ويكلف بتوزيع القسط بين المعاني والمباني . ويميل الى الايجاز الممتع ويفخر بذلك « من شأن العقول الكبيرة أن تدل بقولها الموجز على كثير من المعاني . ومن صفات العقول الهزيلة أن تتكلم كثيراً ولا تقول شيئاً » . وقد أجاد الايجاز في مواعظه الى درجة كادت تبلغ حد الكمال . ولنضرب مثلا هذه الموعظة : « يملك الانسان دائماً ما يكفي من الجلد لاحتمال آلام الغير » ، فليس من المستطاع « تكثيف » التهكم في كلمات أقل من هذه . وهذا الايجاز يجعل « للمواعظ » قيمة تاريخية هامة ، لأنها تعين طوراً جديداً للنثر الفرنسي . وقد قدرها فولتير حق قدرها فقال : « يرجع أكثر الفضل في تكوين ذوق الأمة وجعلها تتعشق الاصالة والدقة الى مواعظ لاروشفوكو »

(البقية على صفحة ٩٥٩)

(١) ١٦٤٥ — ١٦٩٦ أحد حكماء فرنسا وفلاسفتها الأخلاقيين . كان معلماً لحفيد الأمير دي كونديه . وفي عام ١٦٨٨ نشر كتابه الخالد «خصال» مع ترجمة كتاب ثيوفراست الفيلسوف اليوناني المشهور وعنوانه « خصال » أيضاً ومن يقرأ كتابه يلمح فيه أثر لاروشفوكو وبسكال . وقد حمل فيه على مظالم عصره في أسلوب لاذع أخاذ ، وعلى التفاوت الأليم في المعيشة بين الأغنياء والفقراء . وفي عام ١٦٩٣ أصبح عضواً في مجمع العلماء

العلوم

جاليليـــو

١٥٦٤ — ١٦٤٢

بقـــلم عبد الرحمن فهمى
بكالوريوس فى الآداب

يمكننا أن نقول ان الكواكب فى مسارها حفظت للجنس البشرى عبقرية جاليليو . وجاليليو هو الابن البكر لأب فقير ، بدأ تعلمه فى دير بالقرب من فلورنسا ، وبينما هو على وشك أن يكون راهباً رأى أبوه أن يرسله الى جامعة بيزه ليتعلم فيها علوم الطب ، مستعيناً على ذلك بموارد الأسرة الضيقة المحدودة .

وبينما كان الطالب الصغير يقضى بعض أوقات فراغه فى العبادة بكتدرائية بيزه ، لاحظ ان المصباح الهائل المعلق فى سقفها يتأرجح كما لو كان به مس من تيار شارد من الهواء ، ولحظ أيضاً ان قوس التذبذب سواء أكبر هذا القوس أم صغر يكمل دورته فى وقت بذاته ، فاستخلص من ذلك قانون اضطراد (البندول) .

وسنحت له الفرصة عن طريق المصادفة ، فاستمع الى محاضرة فى العلوم الرياضية فى بلاط الدوقية الكبير فى بيزه ، ومنذ هذه الساعة تعلقت نفسه بالأبحاث الرياضية فترك الجامعة ولم يستطع أبوه إرغامه على البقاء بها ، وقضى سنوات مجدبة فى درس العلم الجديد الذى اختاره لنفسه فى حماسة فائقة ، ولكنه استطاع فيما بعد أن ينال من الجامعة أجراً ضئيلاً على محاضرات فى الرياضة يلقيها على طلابها .

وكان أجره من الجامعة قليلاً ، ولكن تهيأت له فيها صفحة جديدة لمستقبل مجيد من أعلى برجها المائل ، وتفصيل ذلك أن أحداً لم يكن ليفكر حينئذ فى زعزعة عقيدة راسخة فى الأذهان هى أن سرعة الأجسام الثقيلة ترجع فى هبوطها الى أوزانها ، فقذيفة المدفع مثلا تهبط أسرع مما لو هبطت ريشة . ولكن جاليليو نسب سرعة الهبوط الى مقاومة الهواء ، ودلل على صحة ذلك بأن ألقى عدة أجسام معدنية وخشبية من حجم واحد من أعلى قمة برج بيزه ، وأرى العلماء أن هذه الأجسام تصل الى الأرض فى أوقات متقاربة جداً ، وبرهن بذلك على أنه لم يكن لأوزانها تأثير مذكور فى سرعة هبوطها ، فقضى على اعتقادات قديمة وخلق لنفسه أعداء كثيرين . ثم بدأ يتفهم طبيعة الجاذبية التى بقيت راسخة فى عقله ولكنها لم تخرج من حيز هذا العقل .

وترك بيزه الى فلورنسا لما طردته الجامعة ، وفى هذا الوقت مات أبوه ، واضطره الدهر الى أن يعول باقى أفراد أسرته . ولكنه فيما بعد استطاع أن يوجد له كرسياً فى جامعة پادوه ، ومن هذا الكرسى واصل بحوثه ونظرياته العلمية ثمانية عشر عاماً بين استحسان ايطاليا وإعجاب أوروبا كلها ، فأضحى بذلك أحد المفكرين الخالدين .

ولم يكن جاليليو ليستفيد من بعد نظره وقوة إدراكه فقط ، بل استفاد أيضاً من أبحاث غيره واكتشافاته ، ويعد اختراع (التلسكوب) وهو المثل الأعلى بين كافة أبحاثه واختراعاته ، ففى حوالى هذا الوقت اخترع جوان ليپرشى من هولاندة بعض العدسات ، وما أن سمع بهذا الاختراع حتى استولى عليه ، وأوجد من هذه العدسات أول مجهر فلكى ، وبه حول أبحاثه وخوصه الى الفضاء حيث كشف جديداً غير معروف ، وقضى على معتقدات قديمة : كشف سطح القمر الجبلى ، وأثبت طبيعة إضاءته بالانعكاس الضوئى ، ومحا خرافة المجرة ودلل على أنها مجموعات من الكواكب ، كذلك كشف أقمار زحـــل وأوجه الزهرة ، واستعان بكل هذه الاكتشافات على تخليد الحق فى تاريخ الفلك ، وهو كل ما كان يعني به من أبحاثه الطويلة ، فأخذ عالم الخرافات المظلم فى هذا الحين يستنير بضوء هذا الحق .

وكان جاليليو خلفاً لكوبرنيق الذى أثبت أن الأرض

والكواكب تدور حول الشمس ، وليست الشمس والكواكب هى التى تدور حول الأرض كما اعتقد ارسطوطاليس ، بل ان كپلر وهو من معاصرى جاليليو أوغل فى هذا البحث ، فدرس طبيعة مدار الكواكب . وبينما كان جاليليو يدرى هذه الحقائق الفلكية كان باقى العالم ولا سيما الكنيسة ينكرها بتاتاً .

ولم تحرك الكنيسة ساكناً فى بادئ الأمر ، زعماً منها ان العاصفة التى نفخها جاليليو لا تلبث أن تهدأ ، ولكن بحوث الفلكى وطريقة عرضها نبهت الأذهان الى مناقضتها ، لما جاء فى الكتاب المقدس ، وقويت الشبهة ضده بتأثير جيوردانو برونو ، وهو زنديق ثائر على المسيحية ، مفكر حر ، بالرغم من ان جاليليو أعلن أنه ينكر على جيوردانو أن يقول عن بحوثه العلمية انها تبرهن على تخبط الدين المسيحى ، وحاول أن يظهر للعالم ان اكتشافاته العلمية لم تعارض يوماً ما التعاليم الدينية المقدسة ، إلا أن ذلك لم يفده ، بل استدعته روما اليها ليدافع عن نفسه ويبرر هرطقته . ولكن كان له فى البلاط البابوى أصدقاء ومريدون من علماء غير متعصبين ، فسمعوا لنقاشه ، ثم سمحوا له بالعودة الى فلورنسا . وعاد اليها وهو يعتقد أن من حقه أن يتابع بحوثه دون إذاعتها . وكانت مهادنة بين الجانبين بعد عودته الى فلورنسا ظل فيها سبعة أعوام ساكناً راكناً الى قريحته العلمية الوقادة .

إلا أنه لم يكن من طبعه وجبلته أن يبقى ساكناً الى الأبد ، فطبع مطبوعات مختلفة مطولة ضمنها محاوراته ومناظراته فى نظام الأرض ، وعندئذ استدعى الى روما مرة أخرى ، ولكن ليقابل فى هذه المرة بابا عابساً حانقاً على رجل متمرد ناكر للجميل ، ولم تقبل منه شفاعة ، بل اضطر تحت تأثير آلات التعذيب الى أن ينقض أفكاره ، ثم حكمت المحكمة عليه بالسجن ، إلا أن هذا الحكم لم ينفذ ، وانما استبدلوا به يكفر عن خطيئته بتلاوة أدعية التوبة ، وهى من سبعة أبواب فى الزبور مرة فى كل أسبوع . وتتصل بهذا العبث الرسمى من جانب الكنيسة فكاهة طريفة وهى أن جاليليو فى كل مرة عند ما كان ينهض من ركوعه بعد تلاوته الأدعية وقسمه اليمين بنقض معتقداته فى الفلك ، كان يقول بصوت خافت (ولكن الأرض ما زالت تدور) .

كانت هذه الكلمات تقال بصوت يكاد لا يكون مسموعاً ولكن فكر العالم بدأ يلتهب بهذه الشرارة ، وكان جاليليو رمزاً لتوسيع حدود العالم برغم محاولات الصلف والتحكم لتضييق محيطه ولا يزال الكون دائراً على رغم عرقلة المعرقلين من رجال الدين والمتعصبين ضد دورانه .

فهل يعد خضوع جاليليو للكنيسة جبناً منه ؟ إن لكل بطل ساعة جبن فى حياته ، وقد تقلب الزمن من عهد هذا الفلكى العظيم حتى اليوم ، فرأينا الآن الجمعية الايطالية الملكية تطبع على النفقة العامة كل مؤلفاته فى واحد وعشرين مجلداً ، شاملة وثائق محاكمته ومضابطها ، وكان جد راغب فى تجنب التصادم مع تعاليم الكنيسة ، فأذعن لحقها فى تعليم كافة الناس الايمان بالدين ، وبلغ من ذلك أنه كان يؤمن فى الظاهر بكل ما كانت تطلب اليه أن يؤمن به ، وباعد بقدر استطاعته بين العلم والدين علماً منه بما يجب أن يكون بينهما من مسافة سحيقة ، وجعل آراء كل منهما منفصلة تمام الانفصال عن الأخرى .

ولكن لِمَ كل هذا ، وغيره من الناس لم يكن ليفعل ذلك لو كان مكانه ؟ ولا سيما ان الكنيسة طلبت اليه أن يقارعها بالحجة وقد كان من الطبيعى أن ينتصر عليها لو أنه قبل ذلك ، لأنه على حق فيما يقول ، ولأن تعاليمها متناقضة لا يصح أن يقبل عالم مثله أن تذاع على الناس فيقبلوها كأنها حقائق ثابتة غير قابلة للبحث والتمحيص . ولكنه لم يبغ قتالاً مع الكنيسة ، بل سار معها موافقاً على كل ما طلبت اليه ، مكتفياً بالبقاء على عقيدته فى نفسه واجداً فيها فضولياً متحرشاً واصفاً إياها (بأن واجبها هو تعليم الناس كيف يسيرون الى عالم السموات ، لا كيف يسير العالم السماوى) .

وبذلك استطاع أن يجد فى بعض الأحيان تعضيداً من سلطة الكنيسة ، ولولا المتعصبون الذين كانوا يضغطون عليه ويضطهدونه بين آونة وأخرى ، لما وقفت الكنيسة قط فى وجهه ، بل كثيراً ما حماه البابوات والكرادلة ودرأوا عنه السوء ، بل كان يعلم بعضهم أنه على حق فى بحوثه العلمية ، وكثيراً ما لمحوا اليه بالهروب من أعدائه فى الوقت المناسب .

وقد بعثت الكنيسة اليه يوماً بالكردينال بللارمن ليوبخه ويحذره ، ولكنه بدلاً من أن يفعل ذلك أرشده الى طريق التعبير عن نظرياته ، فكتب اليه (لا تقل إن الأرض تدور حول الشمس

(البقية على صفحة ٩٥٦)

القصص

الأمير السعيد

للكاتب الانجليزى أوسكار وايلد Oscar Wilde

مترجمة بقلم اليوزباشى أحمد الطاهر

يقوم تمثال الأمير السعيد على عمود باسق يشرف على المدينة ، وقد كست التمثال لفائف من صفائح الذهب الخالص ، وجعل له من الياقوت الأزرق عينان ، وأمسك بسيف فى قبضته ياقوتة حمراء . وكان هذا التمثال موضع الاعجاب والفخار من الناس أجمعين ، ينظر إليه عضو من أعضاء المجلس البلدى فيتحدث عنه ويتكلف الوصف والتشبيه حتى يقول « إنه لجميل ، وله من الجمال ما لديك الرياح ، وإن لم تكن له ما لذلك الديك من المنفعة » وكان هذا العضو يحاول ما استطاع فى تشدقه بالحديث أن يمتاز بما للفنانين من بديع الذوق ، وما للعمليين من صدق النظر ، .

وتمر بالتمثال إحدى العاملات وبيدها طفلها يبكى لأنها لم تستطع أن تجتذب إليه القمر ، وتقول له مفتخرة بالأمير السعيد « لم لا تكون يا بنى كهذا الأمير ، وما أحسبه بكى فى حياته من حاجته لشىء ؟ »

وينظر الى التمثال رجل قد شاع فى نفسه اليأس ويقول « كم يسرنى أن أرى على الأرض رجلاً قد حاز السعادة كاملة » .

ويطوف بالتمثال أطفال الميرة وهم منصرفون من الكنيسة فى أرديتهم القرمزية ، وعباءاتهم البيضاء الناصعة فيقولون « أليس هذا التمثال شبيها بالملائكة ! ! » فينهرهم أستاذ الرياضة فى حدة وجفاء مستنكراً هذا التشبيه « وانى لكم هذا وأنتم لم تروا واحداً من الملائكة ؟ » فيجيبه الأطفال « نحن لم نر الملائكة جهرة ولكنهم طافوا بنا فى أحلامنا » فيعبس أستاذهم ويتولى .

***

فى إحدى الليالى كان يطير فوق المدينة سنونو صغير ، وكان رفاقه قد رحلوا الى مصر وتقدموه بستة أسابيع وتخلف هو عنهم وقد فتن بحب مغردة تقطن شجر الغاب الذى يكتنف النهر ، وكانت أجمل بنات جنسها ، لقيها فى الربيع وهو يطارد يراعة كبيرة صفراء ، فأعجبه خصرها الناحل ، فكاشفها بحبه وابتدرها فى صراحة وبيان « أتأذنين لى فى حبك ؟ » فأومأت إليه إيماءة خفيفة ، فطار من فرط الفرح ، وكانت آية حبه أن يحلق فى الجو طائراً حولها يرتفع أحياناً ويسف بجناحيه أحياناً حتى يضرب بهما صفحة النهر ، فيخط عليه سطوراً من فضة كانت هى تقرأ فيها التحية والاجلال ، وكانت هذه تحيته طوال أشهر الصيف ،

ولقد شاع حديث حبه بين أبناء جنسه ، فتغامزوا عليه يتساءلون عن هذه الصلة التى توثقت بينه وبين المغردة ، وهى ليست بذات مال ، ولها من أقربائها عدد وفير ، وكان النهر غاصاً بأسراب المغردات .

ثم رحل رفاق السنونو رحلة الخريف وشعر صاحبنا بعدهم بسأم الوحدة ، وشاع السأم فى نفسه حتى غشى حبه لصاحبته المغردة ، فبدا له ما يعيبها من صمتها ، وحدثته نفسه بأنها فتاة مبتذلة ، ولا سيما وقد رآها تداعب الهواء فى خفة ودلال ! ! وهو ان وثق بما لها من طبيعة الاستقرار ، فلا يتفق طبعها مع ما جبل عليه من حب الاسفار ، ولن تكون له إذاً الزوجة الصالحة ، وصارحها يوماً برأيه فسألها « أتظعنين معى ؟ » فهزت رأسها مستنكرة أن تهجر وطنها . ولقد ساءه منها إباؤها ، وصاح فى وجهها « أنت إذاً كنت عابثة فى حبى ؟ سأرحل عن ديارك الى الأهرام ! ! وداعاً ! ! وداعاً ! ! » وطار

طوى نهاره طائراً وأدركه الليل عند المدينة ، فتحسس فيها مهبطاً سوياً ، وساءه أن المدينة لم تعد له العدة لهبوطه ، ثم تراءى له التمثال فطاب له النزول عليه ، واستهواه من المكان هواؤه العليل واتخذه بين قدمى الأمير مقعداً . ثم دار ببصره فى المكان يتبينه، وقال معجباً « ما أجمله فراشاً من ذهب » ثم طوى رأسه تحت جناحه ، وما لبث أن أحس بقطرة من الماء تسقط عليه فعجب للسماء تمطر بغير سحاب ، والنجوم سافرة بغير حجاب ، وما له يعجب لهذا الجو وهو فى شمال أوربا أشد نكاية بالخلق وأبلغ إيذاء ، ثم خطرت له المغردة وحبها لوطنها المطير وقال «إنها لمؤثرة» ثم قطرة ثانية تسقط عليه فينحى باللائمة على هذا التمثال القائم « أما فيه على طول قامته عاصم من الأمطار ؟ ؟ . » « سآوى الى رأس مدخنة لعل فيها من المطر تقية » وهم بأن يطير فشخص ببصره الى السماء ورأى . . . . وما أعجب ما رأى . . . . غشيت الدموع عينى الأمير السعيد ، وهطل الدمع على خديه الذهبيين مدراراً ، وبدا وجهه تحت سنا البدر فى حلة من الجمال ،

أشفق السنونو من بكاء الأمير السعيد وقال له « من أنت؟ » قال « أنا الأمير السعيد » قال « وما بكاؤك فى هذه الساعة وقد بللتنى دموعك ؟ » قال « كنت حياً وكان لى قلب كقلوب الناس ، وما عرف الدمع الى عينى سبيلاً ، كنت أسكن قصر (البال الخالى) وكان الحزن لا يأتيه من بين يديه ولا من خلفه ، وكنت أمضى سحابة اليوم ألهو وألعب مع رفاقى بين الزهر والشجر ، وأقضى هزيعاً من الليل أطرب وأرقص فى بهوه الفسيح ، وكان يحيط بالقصر حائط لم أحفل بماوراءه ، وكان كل ما حولى جميلاً ، طربت لهذه الحياة حتى دعتنى حاشيتى بالأمير السعيد يحسبون السعادة فى الطرب . الى أن أدركنى الفناء فأقامونى على هذا الشرف ، أرى منه كل ما فى المدينة فلا يقع بصرى إلا على ما تكره الأبصار ، ولا يمتد إلا ليرتد حسيراً ، ولى قلب قد من الرصاص ولكن لا محيد لى عن البكاء ، . »

عجب السنونو فى نفسه من هذه القصة ، وزاد عجبه ان القلب قد قد من الرصاص ، والجسم من الذهب

قال الأمير فى صوت هادىء ونغم موسيقى ، : « فى أقصى المدينة دار فيها البؤس ، وفيها الشقاء ، وفيها أم قد ألح عليها الفقر العنيف . حتى شحب وجهها ، وغابت نضارتها . واحمرت يداها من فرط ما تعانيان من وخز الابر ، وهى جالسة الى منضدة وبين يديها ثوب من الحرير توشيه (بزهر العواطف) وتعده لأجمل وصيفات الملكة ، تريد أن تزدهى به فى مرقص يقام فى القصر غداً . وانى لأرى الأم من نافذة الدار وأرى ولدها الصغير طريح الفراش ، تضطرم فى أحشائه نار الحمى ، ولا عاصم له من شرها إلا شربة من عصير البرتقال ، وأنى لهذه الوالدة بعصير البرتقال ؟ — انها تسكب فى فمه ماء النهر ، وهو لا يروى صداه ، ولا يدفع جواه ، هذه رسالتى أيها السنونو الصغير ، اخلع عن قبضة سيفى هذه الياقوتة ، وألق بها بين يدى الأم البائسة ، فأنا فى موقفى هذا لا أستطيع حراكاً بما شدت به قدماى الى هذا العامود » .

برم السنونو بهذا الأمر واستعفى منه الأمير قائلاً « إن لى فى مصر من يترقب عودتى . أولئك هم رفاقى ترفرف أجنحتهم فوق نهر النيل يناجون أزهار اللوتس العظيمة ، وما أحسبهم الآن إلا آوين الى مضاجعهم فى مقبرة الملك العظيم ، المضطجع فى تابوته الموشى ، وقد ضمت لفائف التيل الأصفر جسده المحنط بالتوابل والأفاويه ، ويحيط بعنقه قلادة من الكديش الأخضر الشاحب ، وتمتد يداه كأوراق الشجر الذابلة ، . »

توسل الأمير السعيد للسنونو أن يقيم معه الليلة ، وأن يبلغ رسالته الى ذلك الطفل الصادى ، وتلك الأم الحزينة ، قال السنونو أنا لا أعطف على الأطفال ، فقد كنت فى الصيف الماضى مقيماً على النهر ، وكان هناك صبيان يحصبانني بالحصى وهما ولدا الطحان ، ولم يكن الحصى يصيبنى لما اشتهرت به طائفتنا من خفة الحركة ، وسرعة الطيران ، ولكن الذى يحزننى هو ما ينطوى عليه عملهما من المهانة لنا والتحقير لشأننا »

طافت بوجه الأمير سحابة حزن أشفق منها السنونو ولان قلبه وقال : « الآن طبت نفساً بالبقاء معك هذه الليلة ، وسأحمل رسالتك » وشكره الأمير ، واقتلع السنونو الياقوتة من قبضة السيف وضم عليها منقاره وطار ، . . . طار فوق برج الكنيسة ورأى تماثيل الملائكة قد قدت من الرخام الأبيض اذا رأيتها

حسبتها لؤلؤاً منثورا ، وطاف بالقصر الملكى فرأى مرقصاً ونعيماً ونوراً ، وخرجت الى شرفة القصر غادة جميلة مستندة الى ذراع صاحبها فأنصت إليهما فاذا الرجل يقول « ما أغرب الحب وما أشده » قالت الفتاة لاهية عن حديث الحب بحديث الثياب « ما أشد لهفتى على ثوبى الذى أعده لليلة المرقص ! لقد كلفت الحائكة وشيه بأزهار العواطف، ولكن الحائكة كسول ، » وطار فوق النهر وأبصر المصابيح تتدلى على ساريات المراكب ، وطاف بحى اليهود ، فرأى شيوخهم يتنازعون فى البيع والشراء ، ويزنون الدراهم بموازين من نحاس ، وحط على الدار الحزينة ونظر من خلال النافذة فاذا الصبى يصطلى بنار الحمى فلا يهدأ مضجعه ، واذا الأم قد احتواها التعب فقامت الى فراشها . ونفذ السنونو الى الغرفة وألقى بالياقوتة على المنضدة ، ثم طاف يرفرف بجناحيه على الصبى . تحرك الصبى فى مضجعه وقال « ما أعذب هذا النسيم العليل ، لعلى واجد من المرض خلاصاً » ثم أخذته سنة مريحة .

عاد السنونو إلى الأمير السعيد ، وقص عليه مارأى ومافعل وقال « عجباً ! انى لأشعر بالدفء فى هذا الجو البارد ! » قال الأمير « ذلك بما وفقت اليه من فعل الخير »

وساد صمت عميق ، كان السنونو فيه مطرقاً مفكراً وهو اذا فكر نام ! ! ولما انبثق الفجر طار الى النهر واغتسل بمائه فأبصره استاذ علم الطير ، وراعه أن يرى السنونو فى فصل الشتاء ، وعد هذا من خوارق الطبيعة ، فحرر مقالا طويلا نشره فى الصحيفة المحلية وقرأه الناس جميعاً ولم يفهموا منه شيئاً لأنه حشاه بألفاظ لايفقهون لها معنى . قال السنونو وقد هزه الطرب « الليلة سأطير الى مصر » وقام يزور آثار المدينة وأعلامها ، فحط على منارة الكنيسة ، وطابت نفسه بالاستراحة عليها ثم طار ، وكان حيثما طار سمع تغريد العصافير يقول بعضها لبعض : « ما أعجب هذا الطائر وما أغربه ! » فلما استمتع من رحلته وطلع البدر خف الى الأمير السعيد وقال له « هل لديك رسالة أحملها الى مصر ، فأنا ميممها الساعة »

قال الأمير السعيد « أيها السنونو الصغير هل لك أن تبقى معى الليلة ؟ » قال السنونو « إن لى بمصر رفاقا يترقبون عودتى . وما أحسبهم فى الغداة الا طائرين الى الشلال الثانى ينعمون بطلعة فرس النهر مضطجعاً بين أوراق البردى ويسعدون بلقيا الالـه ممنون جالساً على عرش من الجرانيت يناجى النجم طيلة الليل ، حتى اذا أقبلت نجمة الصباح حياها بصيحة عالية ثم لزم الصمت ، ويرقبون الأسود الصفراء ذات العيون الخضراء تنساب الى الشاطئ وتستقى ثم تزأر زأرة تذوب فى صداها زأرة الشلال ، » قال الأمير « أيها السنونو الصغير ! فى أقصى المدينة رجل يقيم فى غرفة وقد أكب على أوراق بين يديه، وأمامه باقة من زهر البنفسج الذابل، وله شعر مجعد ، وشفتاه كحب الرمان ، وعيناه ناعستان ، أراه جاداً فى نسج قصة تمثيلية يعدها لمدير المرسح وقد ألح عليه البرد والفقر فما يستطيع منهما خلاصاً ، وما يستطيع معهما التحرير ، »

قال السنونو وقد رق قلبه « انى مقيم معك الليلة ، فهل أنت مرسلى اليه بياقوته أخرى ؟ » قال الأمير « لقد نفد الياقوت الأحمر ، وما أملك الا عينى ، وهما من الجوهر الأزرق النادر ، جلبت حبتاهما من الف سنة من بلاد الهند ، فاقتلع واحدة منهما وخذها الى الرجل يبيعها للجوهرى ويشترى طعاماً وناراً فيقوى على اتمام قصته » قال السنونو « أيها الأمير السعيد ، لا قبل لى بما كلفتنى ، وما أستطيع على بعض هذا صبراً » وذرفت عيناه . قال الأمير « افعل ما أمرتك به » وفعل ، وطار الى القصصى فنفذ الى غرفته من ثغرة فى سقفها ، وكان الرجل قد أسند رأسه الى يديه فصمت أذناه ، ولم يسمع حفيف أجنحة السنونو ، ثم رفع رأسه وبهره بريق الجوهرة الزرقاء وسط باقة البنفسج الذابل ، فافتر ثغره عن ابتسامة فيها الزهو وفيها الاعجاب وقال : « لقد آن للناس أن يحسنوا تقديرى ، ما أحسب هذه العطية الا من عظيم قد أعجب بقصصى وما أحسبنى الآن الا قادراً على اتمام القصة » ثم أشرقت فى نفسه السعادة ، .

وفى الغداة طار السنونو الى مرفأ المدينة وجلس الى سارية سفينة فأشرف على الحمالين وهم يجتذبون الصناديق الثقيلة وقد شدوها الى الحبال ، وألقى اليهم السمع وهم يصيحون جماعات كلما اجتذبوا صندوقاً فصاح بهم السنونو وقال « أنا طائر الى مصر » فلم يحفل به أحد ، ثم طار فى ضوء القمر الى الأمير السعيد وقال « جئت الآن لأستودعك الله » قال الأمير « هل لك أن تبقى معى الليلة ؟ » قال « نحن فى زمان الشتاء وسيشتد البرد بهذه المدينة

حسبتها لؤلؤاً منثورا ، وطاف بالقصر الملكى فرأى مرقصاً ونعماً ونوراً ، وخرجت الى شرفة القصر غادة جميلة مستندة الى ذراع صاحبها فأنصت إليهما فاذا الرجل يقول « ما أغرب الحب وما أشده » قالت الفتاة لاهية عن حديث الحب بحديث الثياب « ما أشد لهفتى على ثوبى الذى أعده لليلة المرقص ! لقد كلفت الحائكة وشيه بأزهار العواطف، ولكن الحائكة كسول ، » وطار فوق النهر وأبصر المصابيح تتدلى على ساريات المراكب ، وطاف بحى اليهود ، فرأى شيوخهم يتنازعون فى البيع والشراء ، ويزنون الدراهم بموازين من نحاس ، وحط على الدار الحزينة ونظر من خلال النافذة فاذا الصبى يصطلى بنار الحمى فلا يهدأ مضجعه ، واذا الأم قد احتواها التعب فقامت الى فراشها . ونفذ السنونو الى الغرفة وألقى بالياقوتة على المنضدة ، ثم طاف يرفرف بجناحيه على الصبى . تحرك الصبى فى مضجعه وقال « ما أعذب هذا النسيم العليل ، لعلى واجد من المرض خلاصاً » ثم أخذته سنة مريحة .

عاد السنونو إلى الأمير السعيد ، وقص عليه ما رأى وما فعل وقال « عجباً ! اننى لأشعر بالدفء فى هذا الجو البارد ! » قال الأمير « ذلك بما وفقت اليه من فعل الخير »

وساد صمت عميق ، كان السنونو فيه مطرقاً مفكراً وهو اذا فكر نام ! ! ولما انبثق الفجر طار الى النهر واغتسل بمائه فأبصره استاذ علم الطير ، وراعه أن يرى السنونو فى فصل الشتاء ، وعد هذا من خوارق الطبيعة ، فحرر مقالا طويلا نشره فى الصحيفة المحلية وقرأه الناس جميعاً ولم يفهموا منه شيئاً لأنه حشاه بألفاظ لا يفقهون لها معنى . قال السنونو وقد هزه الطرب « الليلة سأطير الى مصر » وقام يزور آثار المدينة وأعلامها ، فحط على منارة الكنيسة ، وطابت نفسه بالاستراحة عليها ثم طار ، وكان حيثما طار سمع تغريد العصافير يقول بعضها لبعض : « ما أعجب هذا الطائر وما أغربه ! » فلما استمتع من رحلته وطلع البدر خف الى الأمير السعيد وقال له « هل لديك رسالة أحملها الى مصر ، فأنا ميممها الساعة »

قال الأمير السعيد « أيها السنونو الصغير هل لك أن تبقى معى الليلة ؟ » قال السنونو « إن لى بمصر رفاقا يترقبون عودتى . وما أحسبهم فى الغداة الا طائرين الى الشلال الثانى ينعمون بطلعة فرس النهر مضطجعاً بين أوراق البردى ويسعدون بلقيا الاله ممنون جالساً على عرش من الجرانيت يناجى النجم طيلة الليل ، حتى اذا أقبلت نجمة الصباح حياها بصيحة عالية ثم لزم الصمت ، ويرقبون الأسود الصفراء ذات العيون الخضراء تنساب الى الشاطئ وتستقى ثم تزأر زأرة تذوب فى صداها زأرة الشلال ، » قال الأمير « أيها السنونو الصغير ! فى أقصى المدينة رجل يقيم فى غرفة وقد أكب على أوراق بين يديه، وأمامه باقة من زهر البنفسج الذابل، وله شعر مجعد ، وشفتاه كحب الرمان ، وعيناه ناعستان ، أراه جاداً فى نسج قصة تمثيلية يعدها لمدير المرسح وقد ألح عليه البرد والفقر فما يستطيع منهما خلاصاً ، وما يستطيع معهما التحرير ، »

قال السنونو وقد رق قلبه « انى مقيم معك الليلة ، فهل أنت مرسلى اليه بياقوتة أخرى ؟ » قال الأمير « لقد نفد الياقوت الأحمر ، وما أملك الا عينى ، وهما من الجوهر الأزرق النادر ، جلبت حبتاها من الف سنة من بلاد الهند ، فاقتلع واحدة منهما وخذها الى الرجل يبيعها للجوهرى ويشترى طعاماً وناراً فيقوى على اتمام قصته » قال السنونو « أيها الأمير السعيد ، لا قبل لى بما كلفتنى ، وما أستطيع على بعض هذا صبراً » وذرفت عيناه . قال الأمير « افعل ما أمرتك به » وفعل ، وطار الى القصصى فنفذ الى غرفته من ثغرة فى سقفها ، وكان الرجل قد أسند رأسه الى يديه فصمت أذناه ، ولم يسمع حفيف أجنحة السنونو ، ثم رفع رأسه وبهره بريق الجوهرة الزرقاء وسط باقة البنفسج الذابل ، فافتر ثغره عن ابتسامة فيها الزهو وفيها الاعجاب وقال : « لقد آن للناس أن يحسنوا تقديرى ، ما أحسب هذه العطية الا من عظيم قد أعجب بقصصى وما أحسبنى الآن الا قادراً على اتمام القصة » ثم أشرقت فى نفسه السعادة ، .

وفى الغداة طار السنونو الى مرفأ المدينة وجلس الى سارية سفينة فأشرف على الحمالين وهم يجتذبون الصناديق الثقيلة وقد شدوها الى الحبال ، وألقى اليهم السمع وهم يصيحون جماعات كلما اجتذبوا صندوقاً فصاح بهم السنونو وقال « أنا طائر الى مصر » فلم يحفل به أحد ، ثم طار فى ضوء القمر الى الأمير السعيد وقال « جئت الآن لأستودعك الله » قال الأمير « هل لك أن تبقى معى الليلة ؟ » قال « نحن فى زمان الشتاء وسيشتد البرد بهذه المدينة

ومالى بها بعد اليوم مقام . سأطير الى مصر فأنعم بشمسها الحارة تنصب على رءوس النخل الأخضر ، وأسعد برؤية تماسيحها،وقد اطمأنت الى أرض رخوة واستمرأت الكسل ، ودارت عيونها تبصر ما حولها ، وما أحسب رفاقى إلا جادين فى اتخاذ أعشاشهم فى معبد بعلبك ، ترقبهم أعين الحمامات الرقطاوات تتناجى بأعذب الأنغام ، أيها الأمير العزيز لست بعد اليوم مقيما ، وما أنسى فضلك وجودك ، وسأعود اليك فى الربيع وفى فمى جوهرتان جميلتان أعوضك بهما عن الجوهرتين اللتين جدت بهما ، ستكون احداهما أشد حمرة من الورد ، والأخرى أشد زرقة من البحر . » .

قال الأمير « هنا فى الميدان فتاة تبيع أعواد الكبريت ، ولقد سقطت الأعواد من يدها وأصابها البلل فما تصلح للبيع ، وستلق الفتاة من أبيها نصباً ، وانى لأراها باكية ، وأراها حافية القدمين حاسرة الرأس ، . . اقتلع عيني الأخرى وجد بها عليها عل أباها يعفيها من سوط عذابه » قال السنونو « أما البقاء معك هذه الليلة فنعم ، وأما ماتأمرنى به فلا ! أتحسبنى لا أعصيك فى هذه فاقتلع عينك فتصبح مكفوفاً ! ! » قال الأمير « بل لا تعص لى أمراً » . . . فما عصاه . . . !

وطاف فوق رأس الفتاة وأسقط الجوهرة فى يدها . قالت « ما أجمل هذه الزجاجة ! وسارعت الى بيتها ضاحكة مستبشرة ، » وعاد السنونو الى الأمير وقال له « أما الآن فحق على البقاء معك ، فقد أصبحت كفيفاً ولا غنى لك عنى ! » قال الأمير المسكين « بل ارحل الى مصر » قال السنونو « مابى الى الرحلة حاجة ، ولن أبرح مقامك » وطوى رأسه تحت جناحيه واستكن بين قدمى الأمير »

وفى الغداة جلس على كتف الأمير وأخذ يقص عليه من أنباء الدنيا عجباً ، قص عليه أنباء طير مصر المعبود ، وكيف وقوفه على ضفتى النيل يمسك بين منقاريه سمكاً ذهبياً ، وقص عليه أنباء أبى الهول وقد عمر عمر الدنيا واتخذ الصحراء مسكناً ، وأوتى علم كل شئ ، وقص عليه أنباء التجار يسيرون الهوينى بجانب إبلهم وفى أيديهم مسابح من الكهرمان يذكرون عليها اسم الله ويسبحون بحمده ، وقص عليه أنباء الأرقط الذى يأوى الى سعف النخل ،وله من الكهنة سدنة عشرون يطعمونه فطيراً معسولا ، وقص عليه أنباء الأقزام وماشب بينهم وبين الفراش من حرب فى البحر ،

وألقى اليه الأمير السمع ثم قال « أيها السنونو الصغير ، فى حديثك العجب ، ولكنى أرى فى شقاء الرجال وفى شقاء النساء ما هو أعجب ، ليس فى العالم مأساة أمعن فى الأسى من الشقاء » طر أيها السنونو فوق مدينتى . وائتنى بأنباء ما ترى ، ومالا أرى .

طاف بالمدينة فرأى دوراً منجدة ، وقصوراً مشيدة . وأغنياء ينعمون وعلى أبوابهم سابلة محرومون ، :

وطار الى أزقة يغشاها الظلام فرأى أطفالاً يتضورون جوعاً . ترنو أبصارهم المتلهفة الى الشوارع المظلمة ، ورأى تحت جسر صبيين قد استلقيا على الأرض متعانقين يتقيان شر البرد ، ويهمس أحدهما فى أذن الآخر « ما أشد الجوع » فينهرهما حارس الليل ويقول « ما ينبغى لكما أن تقيما فى هذا المكان » فيفران وقد صب عليهما عذاب عنيف من الجوع والبرد والمطر . !

وعاد السنونو الى الأمير وحدثه بما رأى ، قال الأمير « هذه لفائف الذهب فوق جسدى فانزعها عنى ورقة ورقة وهبها الى الفقراء ، فقد جبل الناس على حب الذهب ، كأنهم يرون فيه السعادة . »

وقام السنونو ينزع الذهب عن الأمير ورقة بعد ورقة ، حتى بدا جسمه كالح اللون شاحبا ، وطاف بها على الفقراء يغدقها عليهم أرزاقاً ، فتهللت وجوه الأطفال واستخفهم الطرب ، فملأوا شوارع المدينة بشراً وسروراً وقالوا « لقد أوتينا طعاماً » .

ثم قسا الشتاء على المدينة وصب عليها صقيعه وجليده ، وتدلى الثلج من النوافذ ، وخرج الناس يبتغون أرزاقهم ، وقد اكتسوا الفراء ، وخرج الأطفال يلعبون ويتسابقون زحفاً على الثلوج ، كل هذا والسنونو تضنيه تباريح البرد ، ولكنه لايبتغى عن الأمير حولا . يبتغى فى الأرض رزقه من فتات يسترقه من حانوت الخباز ، ويبتغى دفئه من تحريك جناحيه الضعيفين ، ولكنه أحس أخيراً بدبيب الموت يسرى فى جسمه المقرور ، وأحس بقواه تضعف وتخور ، حتى لم يقو على أن يطير الا مرة واحدة يصعد بها الى كتف الأمير ، وقال « وداعاً أيها الأمير العزيز ، أتسمح لى أن أقبل يدك » قال الأمير « انى لسعيد بما عزمت عليه من الرحلة الى مصر — أيها السنونو الصغير — لقد طال مكثك

معى . خذها قبلة من فمى فانى أحبك » قال « مارحلتى الى مصر ولكن الى دار البقاء ، وما يفزعني الموت فهو صنو النعاس ، أليس هو كذلك ؟ » ثم طبع على فم الأمير قبلة . . . ثم رفرف بجناحيه . . . وسقط بين قدميه . . . ميتاً ، .

فى هذه اللحظة سمعت فى جوف التمثال فرقعة داوية ، وكان قلبه وقد قد من الرصاص قد انشطر شطرين .

وفى الصباح مر عمدة المدينة بالميدان وحوله أعضاء المجلس البلدى فشهدوا التمثال وقد أصبح عاطلاً من حلاه ، وقال العمدة « ما أقبح منظر الأمير السعيد ! » قال أعضاء المجلس « حقاً ما أقبحه ! » وكانوا دائماً يرددون ما يقوله العمدة — ثم صعدوا الى التمثال ليتبينوا شأنه وقال العمدة « لقد ضاعت حلاه ، وسقطت عن قبضة سيفه ياقوتتها الحمراء ، وسقطت عن عينيه جوهرتاها الزرقاوان ، وتعطل جسده عن لفائف الذهب ، وهو بهذا لايفضل الشحاذ الا قليلا » قال أعضاء المجلس « وهو لا يفضل الشحاذ الا قليلا » قال العمدة وها كم طائراً قد مات بين قدميه ، أرسلوا فى المدينة الى الطير نذيراً ألا يموت أحد فى هذا المكان ، وحرر كاتب المدينة اعلاناً كتب فيه « ممنوع موت الطيور هنا » .

دكوا تمثال الأمير السعيد ، وما بهم اليه من حاجة بعد أن زال عنه جماله ، ثم صهروا معدنه ، وعقد العمدة مجلساً يتشاورون فيما يستخدم فيه معدنه المصهور ، .

قال العمدة : « ما أرى الا أن تعملوا منه تمثالاً ، ويكون التمثال لى » وقال كل عضو من أعضاء المجلس : « ويكون التمثال لى » فدبت بينهم الشحناء ، وماج بعضهم فى بعض وما زالوا مختلفين ، .

قال أحد العمال الذين يصهرون معدن التمثال « هــذه قطعة من الرصاص لاتذوب فى النار ولا تلين » والقى بهــا على كومة القمامة ، وكان على الكومة جثمان السنونو »

فلو قال الله للملائكته ائتونى باثنين من أعز ما لقيتم فى المدينة ، وأتاه الملائكة بقلب الأمير وجسم الطائر — لقال لهم « صدقتم فيما اخترتم — وسعت جنتى هذا الطائر الصغير يغرد فيها ، وهذا الأمير السعيد يسبح بحمدى »

أحمد الطاهر

جاليليو

(بقية المنشور على صفحة ٩٥١)

بل قل لنفرض أنها تدور حول الشمس ، لأن من الخطر عليك أن تقول بأنها تدور ، ولكنه من المأمون قولك بفرض دورانها) وبذلك ظل جاليليو يفرض فى الظاهر وهو مؤمن بالحقيقة فى الباطن مؤكداً أن للحق الغلبة فى النهاية .

وقد ولد اسحق نيوتن فى ٨ يناير سنة ١٦٤٢ ، وهو اليوم الذى توفى فيه جاليليو ، وبذلك بدأ فصل جديد من حيث انتهى آخر . ولم تؤيد نظرية الأرض وموقعها من المجموعة الشمسية ودورتها فقط ، بل أصبحت العقول تدرك جيداً حركات الكواكب وقانونها أيضاً .

وقد أصيب بالعمى فى أواخر حياته ، إلا أنه وهو أعمى كشف عن أقمار زحل ، وبحث ودرس البقع الشمسية مستعيناً على ذلك بتلاميذه بدل عينيه . وهو بشير لنيوتن وطليعة له ، واذا كان نيوتن هو الذى وضع قوانين الحركة وأثبت بالدقة الرياضية قانون الجاذبية بين الكون المرئى والقاعدة المضبوطة لحركاته ، فان جاليليو هو الذى مهد إلى ذلك وقاد نيوتن الى الحقيقة الخالدة .

ولم يستطع أى بلاط بابوى فى هذا الوقت تقييد أفكاره الطامحة ، وأبحاثه العلمية ، بل اكتفى بارساله أخيراً من روما الى دير سينا ، وهو دير تطل جدرانه على سهول توسكانى ، اعتكف فيه أشهراً قلائل ، ثم سمح له بالعودة الى فلورنسا حيث قضى الأعوام الثمانية الأخيرة من حياته فى عزلة تامة امتثالاً لأمر روما ، إلا أنها عزلة لم تعرف قط السكون بل كان جاليليو فيها يغلى بأبحاثه كالمرجل .

وقد لحقه الأسى وحلت به عاهته فى كبره ، وكان أعمى عند ما زاره جون ملتون فى إركترى عام ١٦٣٨ ، وقد واصل رسالته العلمية وهو بعاهته فاخترع وأملى اختراعاته . وانتابته حمى بسيطة وهو يملى ملحوظاته على تلميذين من حوارييه ، فأسدلت على حياته الطويلة ستاراً كثيفاً أبدياً ، ولكن برغم ذلك بقى للعالم من هذه الحياة بحث خالد فى الأرض وعقل إنسانى جبار .

عبد الرحمن فهمى

الكتب

بحث فى نقد الادب العربى

بقلم محمد بديع شريف

مؤلف هذا الكتاب الموجز شاب عراقى ، يتلقى علومه فى مدرسة دار العلوم ، تكلم فيه عن النقد فى الأدب العربى من فجر تاريخه حتى يومنا هذا ، فأرانا كيف كان أهل الجاهلية يتحاكمون فى أشعارهم الى النابهين منهم كالنابغة وأضرابه ، ثم قص علينا حديثاً طريفاً عن النقد فى صدر الأسلام وفى عهد بنى أمية مشيراً الى ما كان عليه أهل هذين العصرين من سلامة الذوق وحسن الفهم والنزاهة كما يتضح فيما أورده من حديث عقيلة بنت عقيل ابن أبى طالب مع جميل وكثير والأحوص ، وانتقل الى العصر العباسى فأرانا كيف كان الخلفاء يهتمون بالنقد ويفطنون الى موازينه وأوضاعه ، وأخيراً تكلم عن النقد فى أيامنا ويعجبنى منه قوله فى ذلك « والنقد فى أيامنا يجرى فى البيت والبيتين ، وهو عند الصديقين الى تقارض المدح أقرب منه الى النقد ، وعند المغيظ المحنق أبعد عن النقد وأقرب الى السباب ، والمنصف بينهما قليل بل من القليل أقل » .

وختم المؤلف كتابه بكلمة عن النقد وموازينه وطرقه مورداً فى ذلك كثيراً من الأمثلة التى تدل على صدق نظره وحسن فهمه وسلامة ذوقه ، وهى باكورة تبشر بمستقبل أدبى باهر لهذا الطالب النجيب.

أما اسم الكتاب فقد يبدو لى غريباً أو منحرفاً عن موضوعه فكان أولى به أن يسميه بحث فى طرق النقد فى الأدب العربى ، فهو لا ينقد الأدب العربى كما يشعر بذلك عنوانه ، ولكنه يبحث فى أساليب النقد فى هذا الأدب قديمه وحديثه . م . الخفيف

مســــعود

تأليف محمود ابو النجاة

يتوق كثير من شبابنا اليوم الى التأليف ، فأول ما يستهوى الشاب فى مستهل حياته الأدبية ، فترة المطالعة والتأمل والاستعداد ، أن يكون له كتاب يقرؤه الناس . لا جناح على الشاب أن يعمل على رفع نفسه ، بيد أن لكل غاية وسائلها ولكل أمر عدته ، ولا بد لمن يضطلع بالتأليف أن يكون له من الخبرة والنضوج ما يكفل له النجاح فى هذه المهمة الشاقة ، أما أن يعمد الشاب الى التأليف وهو لم يدر بعد ما القراءة ، فهذا الى العبث أقرب منه الى الجد ، بل هو الهزل بعينه ، وهذا الكتيب الذى أحدثك عنه مثل من أمثلة التسرع والشطط ، فهو رواية شعرية فى موضوع تافه لا يليق حتى لأسلوب « الحواديت » وحسبك أن تقرأ حواراً كهذا ولو على سبيل التندر والفكاهة

مسعود — ما العشاء الليـلة ؟
سعيد — إنه جـبن وعدس
مسعود (متأثراً) — كنت أرجو الفرخة
زينب — ماتت الفرخة أمس

ثم اقرأ احدى أغانيه وهى من أجود مقطوعاته

بسم الصبح ابتساما ... فيه آيات الجمال
فانحنى الزرع احتراما ... فى سكون وجلال
وشعاع الشمس ضاءا ... يملأ الآفاق نورا
وسرى الزهر هواءا ... يملأ الدنيا عبيرا

ودونك حوارا لذيذا بين المحضر والعمدة

المحضر : كم يملكون من العقار ؟
العمدة : عشرون فداناً ودار
الحد من جهة الشمال : أرض مسطحة بوار
ومن الجنوب المصرف : والغرب احمد ذو الفقار

والرواية كلها على هذا النحو وكم وددت لو اتسع المجال لأذكر لك طرفاً من ذلك الحوار البديع بين النائب والمحامى فى الجلسة ... !

وحى النسيب فى شعر شوقى

تأليف احمد محمد الحوفى بدار العلوم

حاول المؤلف الشاب أن يبرهن على صدق عاطفة الحب عند شوقى ، أو بعبارة أخرى أراد أن يقيم الدليـل على أن الغزل فى شعر شوقى نتيجة غرام حقيقى ملك قلب الشاعر الـكبير ليبطل بذلك حجة الذين يقولون انه غزل لم تلده عاطفة ولم يبعثه حب . ابتدأ المؤلف الفاضل كتابه بكلمة فى الغزل وأنواعه ، ثم تكلم عن العلاقة بين الحب والشعر ، وذكر طرفاً من غزل شوقى فى الصبا والـكبر ، ثم شرح بصره بنفسية المحبين ، وتعرض لشرح بيئته وصور نزعته الى الوصف وصلتها بالحب .

ولـكنه لم يخرج فى براهينه كثيراً عن ذكر أبيات شوقى فى الغزل مستدلاً بها على صدق حبه مع أن تلك الأبيات هى التى يذكرها من ينكرون عليه هذا الحب مستشهدين بوجودها فى مطلع بعض قصائده دون مناسبة أو داع ، وكان أولى به أن يسلك فى البرهان طريقاً غير هذا ، فان اثبات مواقف معينة أو اقامة الدليل على صفة خاصة فى حياة شاعر لا تتأتى إلا بذكر حوادث معينة واضحة ، أو الاتيان بقرائن قوية توضح الغرض من شعره .

على أننا نحمد لهذا الشاب وأقرانه من طلاب دار العلوم نشاطهم واقبالهم على الأدب العربى بحثاً وتنقيباً ، ويسرنا بنوع خاص أن ينهض الشباب لدراسة شعر شوقى من جميع نواحيه ، ولنا أن نعتبر هذا الـكتاب باكورة طيبة لهذا الشاب الأديب .

م . الخفيف

المدنية الأسلامية وأثرها فى أوروبا

تأليف محمد سعيد بخت ولى

دعا المؤلف الى نشر هذا الـكتاب كما يتضح من مقدمته ما يراه من اقبال الشبان على دراسة مدنية الغرب مع اغفالهم مدنية العرب والأسلام ، ولقد تكلم فى هذا الـكتاب الصغير عن عظمة الاسلام فى أول نشأته ، ثم عن تقدم المسلمين فى العلوم والمعارف والآداب ، ثم عن قوى الاسلام البرية والبحرية فى شتى عصوره ، ثم عقد فصلا عن مبلغ ما أفاده أهل الغرب من الأسلام مستشهداً بعبارات من كلام مؤرخيه

وانك لتلمس غيرة المؤلف وحماسته للأسلام فى كتابه هذا على صغره ، فلا يسعك إلا أن تشكره على هذه الأريحية ، بيد أن الموضوع أوسع من أن يلم به كتيب كهذا لا تزيد صفحاته على السبعين .

م . الخفيف

العامى النبيل

تأليف موليير وتعريب فؤاد نور الدين

عرب هذه الرواية الظريفة التى تعـد احدى طرف الأدب الفرنسى شاب من شباب سوريا ، ولا ريب أن حاجة العالم العربى فى هذه الأيام الى تعريب الآثار الغربية القيمة ، حاجة شديدة ملحة ، بيد أن الترجمة ليست كما يتوهم البعض من السهولة ، وفضلاً عن ذلك فليس كل كتاب بصالح للنقل الى العربية ، وأكبر ظنى أن معرب هذه الرواية لم يتوخ الدقة فى الاختيار ، فالرواية يغلب عليها عنصر الفكاهة ، وأسلوب الفكاهة فى لغة غيره فى لغة أخرى ، هذا الى اختلاف الذوق العام فى أمة عنه فى أخرى وخصوصاً فى الأدب الفكاهى ، وهذه القصة بنوع خاص ينحصر جزء كبير من فكاهتها حول نطق الكلمات واخراج الحروف فـكيف ينقل ذلك الى العربية ؟ نقل المعرب الحروف الفرنسية كما هى ، فكان موقفه أشبه بموقف ذلك الذى يتصدى لاضحاكك فلا تفهم ما يريد فتقابله بالوجوم فينقلب مرحه الى فتور .

غير أنى لا أنـكر على المعرب ما بذل من جهد وما توخى من كمال كما يتضح فى كثير من عباراته .

ســــعادة الأسرة

للحكيم الروسى الأكبر ليو تولوستوى

نقله الى العربية « مختار الوكيل »

لا تكاد تمضى فى قراءة هذه الترجمة العربية للقصة الروسـية البديعة حتى تشعر بدقة المعرب وسلامة أسلوبه من الضعف والابتذال ، فألفاظه منتقاه وتراكيبه عربية وجمله متزنة ، ثم انك لتشعر أيضاً بأن المعرب الفاضل يفهم الأصل فهماً صحيحاً فلا التواء فى الحوادث ولا اضطراب فى مجرى القصة كلها ، هذا الى ما يشع من هذه الترجمة من روح الاتزان والحصافة والشغف بفن القصص مما كان له أكبر الأثر فى انجاز هذا العمل على خير ما يرجى من طالب فى كلية الحقوق لما يزل بين أعماله الدراسية المرهقة ، وحسبك

أن تقرأ هذه الفقرة من مقدمة المعرب لتعرف الروح التى سيطرت عليه أثناء التعريب فهو يقول « أما بعد ، فغايتى ما أطمع فيه من نقل هذه القصة الى لغتنا هو تغذية الفن القصصى الناشئ عندنا بضم عناصر قوية خالدة من الفن العالمى اليه ، فهل يا ترى ستحقق هذه الأمنية ؟ علم الله أنها غاية ما أتوق اليه ... ! »

ولا شك عندى أن تعريبه جاء مصداقاً لمقدمته المهذبة ؟

ديوان الفراتى

نظم محمد الفراتى

مطبعة بابيل اخوان — دمشق

يقع هذا الديوان فى أربعين ومائتى صفحة من القطع الكبير ، جيد الورق متقن الطبع قسم ناظمه ما جاء فيه من قصائد الى مصريات وسوريات وحجازيات وعراقيات وبحرينيات ! ولست أذكر ديواناً فى هذا الحجم تنوعت قصائده على نحو ما تنوعت القصائد فى هذا الديوان ، فلقد نظم الشاعر فى الاجتماعيات وفى شكوى الزمان وفى الرثاء والمديح والعتاب ، وتغنى بحنينه الى البادية ، وتفاخر بمجد الأوائل ، ونظم يستنهض أهل عصره ، ثم نظم فى الوصف فوصف الكهرباء وصاغ شعراً فى الأكسيجين والنتروجين ! وناجى الكواكب ، ولم تكفه الأرض بما رحبت فطار على أجنحة الشعر الى المريخ ونظم قصائد فى وصفه وشط به خياله فاخترع ألفاظاً أشار فى الحواشى الى أنها من لغة المريخ !!

وهكذا أطلق الشاعر العنان لخياله فى غير تحفظ ولا احتراس وسجل كل ما جادت به قريحته من غير حذف ولا إصلاح

من أجل ذلك أرجح أن الفراتى الفاضل يعنى حقاً ما أثبته فى مقدمة ديوانه اذ يقول « لم أنظمه للناس وانما نظمته لنفسى ، وحسبى أن نفسى عنه راضية ، ولم أقدم على نشره ليذيع اسمى ويشتهر، وانما نشرته حرصاً عليه من الضياع » أقول انى أرجح أنه يعنى ما كتب، وقد كنت أحسب ذلك منه تواضعاً أول الأمر ، على أننى لست أقصد بذلك أن الديوان لا يستحق النشر ، كلا ففيه عدد من القصائد يستحق الشاعر من أجلها التهنئة الصادقة ، ثم أن شعره فى الجملة مشرق الديباجة جيد الصياغة بله تنوعه المدهش، ومن قصائده البارعة قصيدته المسماة « درة فى جبين الدهر » وأختها « نفثة مصدور » وقصيدته تحت عنوان « يا ابنة عمى » ومرثيته لسعد وغيرها .

وانما أقصد بما ذكرت أنه كان ينبغى أن يحذف الشاعر من ديوانه بعض القصائد التى لا تسمو الى مستوى شعره ، ولئن فعل فما كان ذلك بضائره، فبضاعته موفورة، ولا سيما وأن هذا هو الجزء الأول، وخير له أن ينتقى من الجزءين ديواناً جيداً . ثم ليسمح لى أن أنبهه فى احترام الى ألفاظ استعلها بكثرة وهى فى زعمى مما يمجه الذوق الشعرى « كالقطقط والعجنفل والصنبر ونفنف اللوح وغيرها مما يجب أن يخلص منها شعر الفراتى ؟

صحيفة مدارس الأقباط الخيرية الكبرى بطنطا

هذه الصحيفة التى تفضل حضرة المربى الفاضل ناظر مدارس الأقباط بطنطا بأهدائها الى الرسالة ، هى باكورة أعمال الطلبة وأول ثمرة لجهودهم الأدبية الفنية ، فاذا قلبتها أعجبك وسرك أن تكون تلك الباكورة على خير ما تكون عليه المجلات المدرسية من دقة وجمال وحسن نظام ، واذا قرأتها حمدت لأصحابها روحهم الطيبة التى تتجلى فى اخلاصهم لمدرستهم وبلادهم ، فالصحيفة مليئة بدروس الوطنية ، حافلة بالأبحاث المتنوعة فى الاجتماع والاقتصاد والتاريخ والعلوم والآداب ، والذى نغتبط له بنوع خاص أن هذه الأبحاث التى كتبها الطلاب من عملهم هم لم يعمدوا فيها الى نقل أو تلفيق، بل هى أصدق صورة لعواطفهم وآمالهم ، واذا أنت قارنت بين هذه الصحيفة وأمثالها مما يظهر فى مدارسنا اليوم ، وبين الصحف التى كانت تصدرها المدارس منذ بضع سنوات أحسست بتقدم الطلاب فى فهم العالم الذى يحيط بهم ، واستبشرت بالخير لبلادنا على أيدى هؤلاء الشبان الذين نعتبرهم عدة الحاضر ورسل المستقبل .

صحيفة مدارس الأهرام

تفضل حضرة المربى الفاضل ناظر مدارس الأهرام فأهدى صحيفة مدارسه الى الرسالة أيضاً ، وتلك الصحيفة فى مرحلتها الثالثة، متقنة الطبع، أنيقة الشكل ، كبيرة الحجم ، وهى كأختها السالفة دقة